

التفسير المحرر 29-10129-1.0

تَعَاظَمَ وَكَثُرَ خَيْرُ اللَّهِ الَّذِي بِيَدِهِ مُلْكُ الْعَالَمِ أَجْمَعِ؛ فَهُوَ وَحْدَهُ
مَنْ يَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ يَشَاءُ بِمَا يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ ذُو الْقُدْرَةِ
الْتَّامَّةِ الْبَالِغَةِ عَلَى فِعْلِ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَمْنَعُهُ أَوْ يُعْجِزُهُ شَيْءٌ
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَخْتَبِرَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- بِالْأَوَامِرِ
وَالنَّوَاهِي وَالشَّهَوَاتِ وَالْمَصَائِبِ، فَيَنْظُرَ أَتَيْكُمْ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ
عَمَلًا -وَذَلِكَ أَخْلَصُهُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَصُوبُهُ بِأَدَائِهِ وَفَقَّ شَرْعِهِ-، ثُمَّ
يُجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَهُوَ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، الْمَنِيعُ
الْجَنَابُ، الْقَاهِرُ لَجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، الْغَفُورُ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ،
فَيَسْتُرُهَا عَلَيْهِمْ، وَيَقِيهِمْ عَقُوبَتَهَا

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، لَا تَرَى فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ الَّتِي أَبَدَعَهَا الرَّحْمَنُ مِنْ اخْتِلَافٍ أَوْ خَلَلٍ، فَأَعِذْ
بَصْرَكَ إِلَى السَّمَاءِ مُتَأَمِّلًا فِيهَا، فَهَلْ تَرَى فِيهَا أَيْ شَقُوقٍ أَوْ
صُدُوعٍ؟!

ثُمَّ كَرِّرِ النَّظَرَ إِلَى السَّمَاءِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، يَرْجِعْ إِلَيْكَ
بَصْرَكَ صَاحِرًا ذَلِيلًا؛ لَعَجْزِهِ عَنِ الْغُثُورِ عَلَى أَيْ شَقُوقٍ فِي
السَّمَاءِ، وَالْحَالُ أَنَّ بَصْرَكَ قَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي التَّعَبِ، وَانْقَطَعَ مِنَ
الْإِعْيَاءِ!

وَلَقَدْ جَمَعْنَا السَّمَاءَ الْقَرِيبَةَ لِلْأَرْضِ بِنُجُومٍ مُضِيئَةٍ، وَرَجَمْنَا
بِتِلْكَ النُّجُومِ الشَّيَاطِينَ الَّتِي تَسْتَرِيقُ السَّمْعَ، وَهَيَّأْنَا لِلشَّيَاطِينِ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابَ النَّارِ، وَأَشَدَّ الْحَرِيقِ

وَلَجَمِيعِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ، وَبِئْسَ
الْمُنْقَلَبُ وَالْمَرْجِعُ: جَهَنَّمَ

إِذَا أُلْقِيَ الْكُفَّارُ فِي جَهَنَّمَ سَمِعُوا لَهَا صَوْتًا عَالِيًا فَظُيْعًا كَأَقْبَحِ
مَا يَكُونُ مِنْ صَوْتِ الْحَمِيرِ، وَهِيَ تَعْلِي؛ مِنْ شِدَّةِ تَلَهُّبِهَا وَتَوْقُذِهَا

ثَوْبِكُ جَهَنَّمَ أَنْ تَتَقَطَّعَ وَتَتَفَصَّلَ بَعْضُ أَجْزَائِهَا عَنْ بَعْضٍ؛
لَشِدَّةٍ غَیْظِهَا عَلَى أَهْلِهَا، كُلَّمَا أُلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ جَمَاعَةٌ مِنَ
الْكَافِرِينَ، قَالَتْ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْمَوْكَلُونَ بِهَا مُؤَبِّخِينَ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ فِي
الدُّنْيَا رَسُولٌ يُنذِرُكُمْ عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى؟

قَالَ الْكَافِرُونَ: بَلَى، قَدْ جَاءَنَا رَسُولٌ يُنذِرُنَا وَيُخَوِّفُنَا عَذَابَ
اللَّهِ، وَلَكِنَّا كَذَّبْنَاهُ، وَقُلْنَا لَهُ: مَا نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ أَيْ
شَيْءٍ مِنَ الْوَحْيِ! وَقَالَ الْكَافِرُونَ أَيْضًا: مَا أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الرُّسُلِ
إِلَّا فِي ذَهَابٍ بَعِيدٍ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ!

وَقَالَ الْكَافِرُونَ: لَوْ كُنَّا فِي الدُّنْيَا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ سَمِعًا أَوْ عَقْلًا
يُنْتَفَعُ بِهِ، مَا كُنَّا الْيَوْمَ فِي عِدَادِ أَهْلِ النَّارِ، وَمِنْ جُمْلَةِ الْمُخَلَّدِينَ
فِي عَذَابِهَا!

فَأَقْرُوا بِذُنُوبِهِمُ الَّذِي اسْتَوْجَبَ لَهُمُ الْخُلُودَ فِي السَّعِيرِ! فَبُعْدًا
لِأَهْلِ النَّارِ الْمَلَاذِمِينَ لَهَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى!

إِنَّ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ وَهُمْ لَمْ يَرْوِهِ فِي الدُّنْيَا، وَلَمْ يَرَوْا عَذَابَهُ،
فَيُطِيعُونَهُ وَيَتْرَكُونَ مَعْصِيَتَهُ حَتَّى فِي خُلُوتِهِمْ حَيْثُ لَا يَرَاهُمْ
النَّاسُ: لَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ لِدُنُوبِهِمْ، وَثَوَابٌ عَظِيمٌ

وَأَخْفُوا كَلَامَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَوْ أَظْهَرُوهُ؛ فَكِلَا الْأَمْرَيْنِ سَوَاءٌ
عِنْدَ اللَّهِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا تُسِرُّونَهُ أَوْ تَجْهَرُونَ بِهِ مِنْ
أَقْوَالٍ، إِنَّ اللَّهَ ذُو عِلْمٍ بَالِغٍ تَامٍّ بِمَا فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ مِنَ الْعَقَائِدِ
وَالنِّيَّاتِ وَالْأَسْرَارِ وَالْخَوَاطِرِ الَّتِي لَمْ يُتَكَلَّمْ بِهَا

وَكَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ مَا فِي الصُّدُورِ مِنْ أَسْرَارٍ هُوَ
خَلَقَهَا، وَهُوَ الْعَالِمُ بِدَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ، فَيُدَبِّرُهَا وَيَسُوقُهَا لِعِبَادِهِ بِرَفَقٍ
وَخَفَاءٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ؛ فَهُوَ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ بِمَا بَنَتْهُ فِي

القلوب، وهو العالم ببواطن الأشياء وخباياها، فلا تخفى عليه خافية؟!!

هو الذي جعل لكم الأرض مُدَلَّلةً مُوطَّأَةً بحيثُ تَتَمَكَّنُونَ مِنَ الانْتِفَاعِ بها، بالوطءِ عليها، والمشي فوقها إلى غير ذلك، ولم يجعلها مُستَصْعَبَةً ومُمتَنِعَةً على مَنْ أَرَادَ ذلك منها، فامشوا في جوانبها ونواحيها، وسافروا حيثُ شِئْتُمْ مِنْ أَقْطَارِهَا لَطَلَبِ الرِّزْقِ وَالْمَكَاسِبِ، وَكُلُّوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ الْحَلَالِ الَّذِي أَوْدَعَهُ فِيهَا، وَأَقْدَرَكُمْ عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنْهَا، وَإِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا إِلَى غَيْرِهِ الْمَرْجِعُ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، فَتُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْجَزَاءِ عَلَى أَعْمَالِكُمْ أَأَمِنْتُمْ -أيُّهَا الْكَافِرُونَ- اللَّهَ الَّذِي هُوَ فِي الْعُلُوِّ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ؛ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ عُقُوبَةً لَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ بِهِ، فَإِذَا بِهَا تَضَطَّرَّبُ بِكُمْ ذَهَابًا وَإِيَابًا؟!!

أَمْ أَمِنْتُمْ اللَّهَ الَّذِي هُوَ فِي الْعُلُوِّ فَوْقَ السَّمَاءِ؛ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حِجَابَةً يُرْمِكُمْ بِهَا؟! فَسَتَعْلَمُونَ حِينَ يَحُلُّ الْعَذَابُ كَيْفَ يَكُونُ إِنْذَارِي، وَعَاقِبَةُ مَنْ كَذَّبَ بِهِ!!

وَلَقَدْ كَذَّبَ الْكَفَّارُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ رُسُلَهُمْ؛ كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، وَقَوْمِ لُوطٍ، وَقَوْمِ شُعَيْبٍ، وَقَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ بِعَذَابِهِ فِي الدُّنْيَا، فَكَيْفَ كَانَ إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ تَكْذِيبَهُمْ حِينَ عَذَّبْتَهُمْ؟!!

أَوَلَمْ يَرِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمَكْذِبُونَ إِلَى الطَّيْرِ وَهِيَ تَطِيرُ فَوْقَهُمْ فِي الْجَوِّ نَاشِرَاتٍ أَجْنَحَتْهُنَّ غَالِبًا، وَجَمَعَتْهَا أَحْيَاءًا حِينَ يُدْنِيْنَهَا مِنْ جُنُوبِهِنَّ، مَا يُمَسِّكُ تِلْكَ الطَّيُورَ عَنِ السَّقُوطِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا الرَّحْمَنُ سُبْحَانَهُ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ بَصِيرٌ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ، وَكُلُّهَا تَحْتَ تَدْبِيرِهِ بِمَا تَقْضِيهِ حِكْمَتُهُ

أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ عَوْنٌ وَنَاصِرٌ لَكُمْ - أَيُّهَا الْكَافِرُونَ - يَدْفَعُ عَنْكُمْ الْعَذَابَ غَيْرَ الرَّحْمَنِ؟! مَا الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ إِلَّا فِي غُرُورٍ عَظِيمٍ قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ، فَلَا خَلَاصَ لَهُمْ مِنْهُ، وَذَلِكَ بِاسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمُ الَّذِي يَتَوَهَّمُونَهُ صَوَابًا، وَتَوَهُّمُهُمْ أَنَّ آلِهَتَهُمْ تَنْقُصُهُمْ أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكُمْ بِالرِّزْقِ - أَيُّهَا الْكَافِرُونَ - إِنْ مَنَعَهُ اللَّهُ عَنْكُمْ؟! فَهَمْ لَمْ يَرْجِعُوا عَنْ تَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ مَعَ مَا ذُكِرَ مِنْ دَلَائِلٍ وَحُجَجٍ، بَلِ اسْتَمَرُّوا وَتَمَادَوْا فِي طُغْيَانِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَتَكَبُّرِهِمْ، وَنُفُورِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَهُرُوبِهِمْ مِنْهُ

أَفَمَنْ يَمْشِي مُنْكَسًا رَأْسَهُ لَا يُبْصِرُ طَرِيقَهُ، فَيَسْقُطُ مُتَعَثِّرًا وَيَخْزُ عَلَى وَجْهِهِ: أَهْدَى أَمْ الَّذِي يَمْشِي مُعْتَدِلًا قَائِمًا، رَافِعًا رَأْسَهُ نَاصِبًا وَجْهَهُ، سَالِمًا مِنَ التَّعَثُّرِ مُبْصِرًا طَرِيقَهُ، سَائِرًا عَلَى دَرَبٍ مُسْتَوٍ وَاضِحٍ لَا اعْوَاجَ فِيهِ؟!

قُلْ - يَا مُحَمَّدٌ - لِلْمُشْرِكِينَ الْمَكْذِبِينَ: اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ مَنْ أَوْجَدَكُمْ مِنَ الْعَدَمِ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ لِتَسْمَعُوا آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْأَبْصَارَ لِتَنْظُرُوا خَلْقَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْأَفْئِدَةَ لِتَتَفَكَّرُوا وَتَعْتَبِرُوا فِيمَا سَمِعْتُمْ وَشَاهَدْتُمْ، فَقَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ بِصَرْفِهَا إِلَى مَا خُلِقْتُ لَهُ.

قُلْ - يَا مُحَمَّدٌ -: اللَّهُ هُوَ الَّذِي نَشْرَكُكُمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَأَرْجَائِهَا، وَإِلَى اللَّهِ تُجْمَعُونَ بَعْدَ هَذَا التَّفَرُّقِ وَالشَّتَاتِ، فَيَبْعَثُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ

وَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ: مَتَى يَكُونُ مَا تَعِدُونَنَا مِنَ الْحَشْرِ إِلَى اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي وَعْدِكُمْ هَذَا؟!

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ- لهؤلاءِ السَّائِلِينَ: إِنَّمَا عَلِمْتُ وَقْتِ مَجِيءِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَحْدَهُ، لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ سِوَاهُ، وَمَا أَنَا إِلَّا مُنْذِرٌ لَكُمْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ كَفَرْتُمْ إِنْذَارًا بَيِّنًا وَاضِحًا تُقَامُ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَيْكُمْ فَلَمَّا رَأَى أَوْلَئِكَ الْكَافِرُونَ مَا وُعدُوا بِهِ شَدِيدَ الْقُرْبِ مِنْهُمْ وَعَايَنُوهُ، سَاءَ هُمْ وَأَفْزَعَ عَهُمْ، وَأَقْلَقَ أَفْئِدَتَهُمْ؛ فَتَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ وَقُبِحَتْ، وَعَلَتْهَا الْكَأَبَةُ، وَقِيلَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَقْرِيْعًا وَتَوْبِيْحًا: هَذَا هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتُمْ تَطْلُبُونَهُ وَتَسْأَلُونَ تَعْجِيلَهُ؛ تَكْذِيبًا وَاسْتِبْعَادًا لَوْقُوعِهِ

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ- لهؤلاءِ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ يَتَمَنَّوْنَ هَلَاكَكَ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَكَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَمَاتَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِعَذَابٍ أَوْ غَيْرِهِ، أَوْ رَحِمْنَا، لَا يَنْفَعُكُمْ وَقُوعُ مَا تَتَمَنَّوْنَ لَنَا مِنَ الْهَلَاكِ؛ فَسِوَاءِ أَهْلَكْنَا اللَّهُ أَوْ رَحِمْنَا، فَلَا نَجَاةَ لَكُمْ مِنْ عَذَابِهِ الْأَلِيمِ مَا دُمْتُمْ مُصِرِّينَ عَلَى الْكُفْرِ بِهِ

قُلْ لَهُمْ -يا مُحَمَّدٌ-: هُوَ رَبُّنَا الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ، وَعَلَيْهِ وَحْدَهُ اعْتَمَدْنَا، فَسَتَعْلَمُونَ عِنْدَ مَجِيءِ الْعَذَابِ مَنْ هُوَ فِي خَطَأٍ وَاضِحٍ وَذَهَابٍ بَيِّنٍ عَنِ الْحَقِّ: أَنَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ؟!

قُلْ لَهُمْ -يا مُحَمَّدٌ-: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَائِرًا فِي الْأَرْضِ بَحِيثٌ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى تَنَاوُلِهِ أَوْ اسْتِخْرَاجِهِ، فَمَنْ يَأْتِيكُمْ إِذْ بَاءَ ظَاهِرٍ جَارٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ تَرَاهُ الْعَيُونَ؟! لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

افْتَتَحَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِهَذَا الْحَرْفِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ الَّتِي يُسْتَفْتَحُ بِهَا كَثِيرٌ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ؛ لِبَيَانِ إِعْجَازِهِ، حَيْثُ تُظْهَرُ عَجَزُ الْخَلْقِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ، مَعَ أَنَّهُ مَرْكَبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ بِهَا، وَأُقْسِمُ بِالْقَلَمِ وَمَا يَكْتُبُونَ

لست -يا مُحَمَّدُ- بسَبَبِ ما أَنْعَمَ اللهُ به عليك مِنْ الْهُدَى
وَالْوَحْيِ وَالنُّبُوَّةِ؛ بِمَجْنُونٍ كَمَا يَزْعُمُ الْمُشْرِكُونَ
وإنَّ لَكَ -يا مُحَمَّدُ- لَنَوَافٍ عَظِيمًا غَيْرَ مَقْطُوعٍ أَوْ مَنقُوصٍ
وَإِنَّكَ -يا مُحَمَّدُ- لَعَلَى طَبْعٍ كَرِيمٍ، وَأَدَبٍ عَظِيمٍ بِهَذَا الدِّينِ
الْقَوِيمِ، وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
فَسَتَرِي وَتَعَلَّمُ -يا مُحَمَّدُ-، وَيَرَى كُفَّارُ قُرَيْشٍ وَيَعْلَمُونَ يَقِينًا
مَنْ مِنْكُمْ الْمَفْتُونُ بِالْجُنُونِ، وَالضَّلَالِ عَنِ الْحَقِّ؟!
إِنَّ رَبَّكَ -يا مُحَمَّدُ- هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، فَلَمْ
يَتَّبِعْ دِينَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ اهْتَدَوْا، فَاقْرَأُوا بِالْحَقِّ
وَاتَّبِعُوهُ

فكما أَنْعَمْنَا عَلَيْكَ -يا مُحَمَّدُ- بِالذِّينِ الْمُسْتَقِيمِ وَالْخُلُقِ الْعَظِيمِ،
لَا تُطْعِ الْمَكْذِبِينَ بِالْحَقِّ؛ فَلْيَسُوا أَهْلًا لِأَنْ يُطَاعُوا
أَحَبُّ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ -يا مُحَمَّدُ- وَتَمَنَّا لَوْ تَلَيْنَ لَهُمْ فِي الدِّينِ
وَتَوَافَقَهُمْ وَتُصَانِعُهُمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ؛ كَثَرَكِ النَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ، أَوْ
السُّكُوتِ عَنِ عَيْبِ آلِهِمْ، فَيَلِينُونَ لَكَ أَيْضًا، وَيُصَانِعُونَكَ فِيمَا
تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ؛ كَثَرَكِ الطَّعْنُ فِيهِ، أَوْ مَوَافَقَتُهُ، وَامْتِنَالِ
بَعْضِهِ

وَلَا تُطْعِ -يا مُحَمَّدُ- كُلَّ مُكْثَرٍ لِلْخَلْفِ، ضَعِيفٍ حَقِيرٍ، خَسِيسٍ
النَّفْسِ، نَاقِصِ الْهِمَّةِ
كَثِيرِ الْعَيْبِ لِلنَّاسِ، وَالطَّعْنِ فِيهِمْ حَالَ غَيْبَتِهِمْ، نَقَالِ لِلْكَلامِ
السَّيِّئِ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضٍ، بَغَرَضِ الْإِفْسَادِ بَيْنَهُمْ
شَدِيدِ الْمَنْعِ لِكُلِّ خَيْرٍ، بِخِيلٍ بِالْمَالِ عَنِ إِفْئاقِهِ فِي وُجُوهِهِ
الْمَطْلُوبَةِ، مُتَجَاوِزٍ لِلْحُدُودِ، كَثِيرِ الْإِثْمِ وَالذُّنُوبِ

فَطَّ غَلِيظٍ فِي خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ، شَدِيدِ الْخُصُومَةِ، جَافٍ شَدِيدٍ، بَعْدَ
ذَلِكَ الَّذِي وَصَفْنَاهُ بِهِ: دَعِيٍّ، مُلْصَقٍ فِي قَوْمٍ لَيْسَ مِنْهُمْ
مَنْ أَجَلَ أَنَّهُ صَاحِبُ مَالٍ كَثِيرٍ وَأَبْنَاءٍ، فَيَتَّقَوْنَ بِهِمْ وَيَتَجَبَّرُ
وَيَتَكَبَّرُ!

إِذَا تُتْلَى عَلَى هَذَا الْكَافِرِ آيَاتُ الْقُرْآنِ قَالَ مُكْذِبًا: تِلْكَ أَكَاذِبُ
الْأَوَّلِينَ وَخُرَافَاتُهُمُ الَّتِي سَطَرُوهَا فِي كُتُبِهِمْ
سَنَجْعَلُ لَهُ عَلَى أَنْفِهِ عِلَامَةً يَعْرِفُ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ
إِنَّا امْتَحَنَّا أَهْلَ مَكَّةَ كَمَا امْتَحَنَّا أَصْحَابَ الْبُسْتَانِ، حِينَ حَلَفُوا
فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى قَطْعِ ثِمَارِ بُسْتَانِهِمْ فِي أَوَّلِ الصَّبَاحِ قَبْلَ مَجِيءِ
الْمَسَاكِينِ إِلَيْهِ؛ لئَلَّا يَعْلَمُوا بِهِمْ، فَتَتَوَفَّرَ ثِمَارُهُ عَلَيْهِمْ بِالْكَامِلِ،
وَلَا يَتَصَدَّقُوا مِنْهُ بِشَيْءٍ

وَلَمْ يَسْتَنْتِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ فِي قَسَمِهِمْ، فَلَمْ يَقُولُوا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ
فَوَقَعَ عَلَى بُسْتَانِهِمْ لَيْلًا عَذَابٌ مِنْ رَبِّكَ -يَا مُحَمَّدٌ- فَأَهْلَكَهُ
وَأَبَادَهُ وَدَمَّرَهُ كُلَّهُ، وَأَصْحَابُهُ نَائِمُونَ، وَعَمَّا أَصَابَهُ غَافِلُونَ
فَصَارَ ذَلِكَ الْبُسْتَانُ مُحْتَرَقًا، أَسْوَدَ كَسَوَادِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ
فَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي أَوَّلِ الصَّبَاحِ؛
لِيَذْهَبُوا لِقَطْعِ ثَمَرِهِمْ

قَالُوا: بَكَّرُوا فِي الْخُرُوجِ إِلَى بُسْتَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَارِضِينَ
عَلَى قَطْعِ ثَمَرِهِ قَبْلَ مَجِيءِ الْمَسَاكِينِ إِلَيْهِ
فَانْطَلَقَ أَصْحَابُ الْبُسْتَانِ إِلَى بُسْتَانِهِمْ وَهُمْ يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا
بَيْنَهُمْ بَحِيثٌ لَا يَسْمَعُ حَدِيثُهُمْ أَحَدٌ
قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سِرًّا: لَا يَدْخُلَنَّ بُسْتَانَكُمْ أَحَدٌ مِنَ الْمَسَاكِينِ
فِي هَذَا الْيَوْمِ

وَخَرَجُوا فِي أَوَّلِ الصَّبَاحِ وَهُمْ قَاصِدُونَ بِإِرَادَةٍ جَازِمَةٍ
وَعُضِبَ وَجَدَةٌ مَنَعَ الْمَسَاكِينَ مِنْ ثَمَارِهِمْ، وَقَادِرُونَ عَلَى مَا
عَزَمُوا عَلَيْهِ مِنْ قَطْعِ الثَّمَارِ، وَمَنَعَ الْمَسَاكِينَ
فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ الْبُسْتَانِ بُسْتَانَهُمْ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ هُوَ!
وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّا قَدْ ضَلَلْنَا وَأَخْطَأْنَا الطَّرِيقَ إِلَى بُسْتَانِنَا
قَالُوا: كَلَّا، لَمْ نَضِلَّ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّنَا
حُرْمْنَا الْإِنْتِفَاعَ بِالْبُسْتَانِ، فَلَا حَظَّ لَنَا فِي شَيْءٍ مِنْ ثَمَارِهِ
قَالَ أَعْدَلُهُمْ وَأَعْقَلُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ نَاصِحًا: هَلَّا
نَزَرْتُمْ اللَّهَ عَنِ السُّوءِ بِقَوْلِكُمْ: سُبْحَانَ اللَّهِ!؟

قَالُوا مُعْتَرِفِينَ بِخَطِيئِهِمْ: نُزِّرْهُ رَبَّنَا عَنْ أَنْ يَكُونَ ظَالِمًا فِيمَا
فَعَلَ بِبُسْتَانِنَا، وَإِنَّمَا نَحْنُ الَّذِينَ وَقَعْنَا فِي الظُّلْمِ فَجَنَّبْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا
فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ لَا يَمِينُ أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُمْ
مِنْ ظُلْمٍ

قَالُوا: يَا حَسْرَتَنَا وَهَلَاكُنَا، إِنَّا قَدْ اعْتَدَيْنَا وَبَغَيْنَا وَتَجَاوَزْنَا
حُدُودَ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى أَصَابَنَا مَا أَصَابَنَا!
نَرْجُو مِنْ رَبِّنَا بَعْدَ أَنْ ثَبَّنَا إِلَيْهِ أَنْ يُعَوِّضَنَا خَيْرًا مِنْ بُسْتَانِنَا
الَّذِي هَلَكَ، إِنَّا إِلَى رَبِّنَا وَحْدَهُ رَاغِبُونَ وَرَاجُونَ؛ فَلَذَا نَطْمَعُ أَنْ
يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْ بُسْتَانِنَا

مِثْلَ هَذَا الْعَذَابِ الدُّنْيَوِيِّ الَّذِي حَلَّ بِأَصْحَابِ الْبُسْتَانِ يُعَذِّبُ
اللَّهُ تَعَالَى أَيْضًا كُلَّ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، فَبَخَلَ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ،
وَمَنَعَ الْمَحْتَاجِينَ، فَبَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، وَطَغَى وَبَغَى وَأَثَرَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْلُبُهُ نِعْمَتَهُ وَيُزِيلُهَا عَنْهُ، وَلَعَذَابُ اللَّهِ فِي
الْآخِرَةِ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ أَكْبَرُ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا، فَلَوْ كَانَ الْكُفَّارُ

يَعْلَمُونَ ذَلِكَ لَتَأْتُوا، وَانْتَهَوْا عَنْ كُلِّ سَبَبٍ يُوجِبُ عَذَابَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ تَعَالَى بِامْتِثَالِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ: لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ الدَّائِمِ، الْخَالِي مِنْ كُلِّ مَا يُنْغِصُهُ وَيُكَدِّرُهُ

أَفَنُساوِي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ خَضَعُوا لِلَّهِ تَعَالَى، وَانْقَادُوا لِأَمْرِهِ، وَاجْتَنَبُوا نَهْيَهُ، وَذَلُّوا بِالطَّاعَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ لَهُ وَحْدَهُ، وَالْمَجْرَمِينَ الَّذِي اكْتَسَبُوا الذُّنُوبَ، وَخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ؟! كَلَّا؛ فَإِنَّمَا يُثِيبُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ، وَيُعَذِّبُ الْمَجْرَمِينَ، كَمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ

أَيُّ شَيْءٍ حَصَلَ لَكُمْ مِنْ خَلَلِ الْفِكْرِ وَفَسَادِ الرَّأْيِ، كَيْفَ تَحْكُمُونَ هَذَا الْحُكْمَ الْجَائِرَ، كَأَنَّ أَمْرَ الْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ مَفُوضٌ إِلَيْكُمْ، تَحْكُمُونَ فِيهِ بِمَا شِئْتُمْ!

أَلَمْ يَكُنْ كِتَابٌ مَنزَّلٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ تَقْرَؤُونَ فِيهِ مَا تَقُولُونَ؟
إِنَّ لَكُمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا تَخْتَارُونَهُ وَتَشْتَهَوْنَ مِنْ أَحْكَامٍ؟!
أَمْ لَكُمْ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- عُهْدٌ وَمَوَاقِيقٌ مُؤَكَّدَةٌ قَدْ أَقْسَمْنَا عَلَيْهَا، وَهِيَ مُؤَبَّدَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، بَأَنَّ لَكُمْ حُكْمَكُمْ الَّذِي تَخْتَارُونَهُ؟!

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ هَؤُلَاءِ: مَنْ الضَّامِنُ الْمَتَكْفِلُ الْمَلْتَزِمُ بِإِدْعَائِهِ صِحَّةَ ذَلِكَ؟!

أَمْ لِلْكَافِرِ شُرَكَاءُ لِلَّهِ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ؟! فَلْيَأْتُوا بِهِمْ إِنْ لِيَجْعَلُوهُمْ مِثْلَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْآخِرَةِ، إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ

يَوْمَ يَكْشِفُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ عَنْ سَاقِهِ الْكَرِيمَةِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ لِلَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ

تَكُونُ أَبْصَارُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَاضِعَةً سَاكِئَةً، تَغْشَاهُمْ ذِلَّةٌ شَدِيدَةٌ، وَقَدْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يُؤْمَرُونَ بِالسُّجُودِ لِلَّهِ، وَهُمْ أَصْحَاءٌ، مُعَافُونَ، لَا يَمْنَعُهُمْ شَيْءٌ

فَدَعَنِي -يَا مُحَمَّدُ- وَمَنْ يُكَذِّبُونَ بِالْقُرْآنِ، فَخَلَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، وَفَوَّضَ أَمْرَهُمْ إِلَيَّ؛ فَإِنِّي أَكْفِيكَهُمْ، فَلَا تَسْتَعْجِلْ هَلَاكَهُمْ، وَلَا يَنْشِغِلْ قَلْبُكَ بِهِمْ، سَتَقَرَّبُ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ بِالْقُرْآنِ مِنْ عَذَابِهِمْ شَيْئًا فَشَيْئًا بِالتَّدرِجِ مِنْ جِهَاتٍ وَأَسْبَابٍ لَا يَتَفَطَّنُونَ إِلَى أَنَّهَا مُفْضِيَةٌ بِهِمْ إِلَى الْهَلَاكِ

وَأَمَهُلُهُمْ، وَلَا أَعْاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، ذَلِكَ مِنْ مَكْرِي وَكَيْدِي بِهِمْ، وَمَكْرِي قَوِيٌّ شَدِيدٌ

أَمْ تَسْأَلُ قَوْمَكَ مَالًا -يَا مُحَمَّدُ- مُقَابِلَ إِبْلَاغِهِمُ الْحَقَّ، فَيُتَّقِلَهُمْ وَيَشْتَقُّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فَيَمْتَنِعُونَ عَنْ قَبُولِ نَصِيحَتِكَ، وَالِاسْتِجَابَةِ لَكَ؟!

أَمْ عِنْدَ أَوْلَئِكَ الْمُشْرِكِينَ عِلْمٌ مَا غَابَ عَنِ الْخَلْقِ، فَهُمْ يَكْتُبُونَهُ؟!

فَاصْبِرْ -يَا مُحَمَّدُ- لِمَا حَكَّمَ اللَّهُ بِهِ شَرْعًا وَقَدَرًا: بِتَبْلِغِ رِسَالَتِهِ، وَالِانْقِيَادِ لِلتَّامِّ لِأَمْرِهِ، وَتَحَمُّلِ أَذَى الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ دُونَ سَخَطٍ أَوْ جَزَعٍ لِأَمَهُلِهِمْ، وَلَا تَكُنْ فِي الضَّجَرِ وَالْغَضَبِ وَالْعَجَلَةِ وَقَلَّةِ الصَّبْرِ عَلَى قَوْمِكَ؛ كَيُونُسَ الَّذِي حُبِسَ بِسَبَبِ ذَلِكَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ حِينَ نَادَى رَبَّهُ قَائِلًا: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»، وَصَدْرُهُ مَمْلُوءٌ غَيْظًا وَغَمًّا
وَهَمًّا

لَوْلَا أَنْ أَدْرَكَتْ يُوْنُسَ رَحْمَةً عَظِيمَةً مِنْ رَبِّهِ لَطُرَحَ
بِالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مِنَ النَّاسِ وَالْأَشْجَارِ وَالْبَنَاءِ، وَهُوَ يُدْمُ وَيَلَامُ
بِالدَّنْبِ

فَاصْطَفَى اللَّهُ يُوْنُسَ، وَجَعَلَهُ مِنْ عِبَادِهِ الطَّائِعِينَ الَّذِينَ
فَضَّلَهُمْ؛ مِمَّنْ صَلَحَتْ أَعْمَالُهُمْ، وَأَقْوَالُهُمْ، وَنِيَّاتُهُمْ، وَأَحْوَالُهُمْ
وَلَقَدْ أَوْشَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يُسْقِطُوكَ وَيَصْرَعُوكَ -يَا مُحَمَّدُ-
مِنْ إِحْدَادِ نَظَرِهِمْ إِلَيْكَ نَظَرَ عَدَاوَةٍ وَغَيْظٍ مِنْكَ، وَحَسَدٍ لَكَ، وَذَلِكَ
لَمَّا سَمِعُوا كَلَامَ اللَّهِ يُتْلَى عَلَيْهِمْ وَيَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا لَمَجْنُونٌ،
وَهَذَا الَّذِي جَاءَنَا بِهِ هَذِيانٌ يَهْذِي بِهِ فِي جُنُونِهِ

وَمَا هَذَا الْفُرْأَنُ إِلَّا تَذْكِيرٌ وَعِظَةٌ مِنَ اللَّهِ لَجَمِيعِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ
الْقِيَامَةُ النَّابِئَةُ الْمَجِيءُ، الصَّادِقَةُ الْوُقُوعُ، الَّتِي تَظْهَرُ فِيهَا
الْحَقَائِقُ، وَيَتَحَقَّقُ فِيهَا وَعْدُ اللَّهِ تَعَالَى وَوَعْدُهُ
أَيُّ شَيْءٍ تِلْكَ السَّاعَةُ الْحَاقَّةُ، الْعَظِيمَةُ الشَّأْنُ؟ وَمَا حَالُهَا
وَصِفَتُهَا؟

وَمَا الَّذِي يُعَزِّفُكَ مَا الْحَاقَّةُ وَصِفَتُهَا وَحَالُهَا وَأَهْوَالُهَا؟!
كَذَّبَتْ قَبِيلَةُ ثَمُودَ قَوْمَ صَالِحٍ، وَقَبِيلَةُ عَادٍ قَوْمَ هُودٍ؛ بِالْقِيَامَةِ
الَّتِي تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِأَهْوَالِهَا
فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالصَّيْحَةِ الطَّاغِيَةِ الْفَظِيْعَةِ الَّتِي تَجَاوَزَ
صَوْنُهَا مِقْدَارَ كُلِّ صَوْتٍ مُرْتَفِعٍ، فَرَجَفَتْ مِنْهَا الْأَرْضُ
وَالْقُلُوبُ، وَمَاتُوا مِنْ شِدَّتِهَا

وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ عَظِيمَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الصَّوْتِ، قَدْ
تَجَاوَزَتْ شِدَّتُهَا فِي ذَلِكَ كُلِّ عَاصِفَةٍ أُخْرَى، فَدَمَّرَتْهُمْ تَدْمِيرًا

سَلَطَ اللَّهُ تِلْكَ الرِّيحَ الْعَاصِفَةَ عَلَى عَادٍ، وَأَرْسَلَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ كَوَامِلَ، مَشَائِمٍ، تَتَابَعَتْ عَلَيْهِمْ حَتَّى هَلَكُوا، فَتَرَى قَوْمَ عَادٍ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ مَطْرُوحِينَ عَلَى الْأَرْضِ مَوْتَى، صَارَتْ جُنُثُهُمْ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ مِثْلَ جُذُوعٍ نَخِلٍ سَاقِطَةٍ خَالِيَةِ الْأَجْوَابِ

فَهَلْ تَرَى لِكُفَّارِ عَادٍ مِنْ بَقَاءٍ بَعْدَ أَنْ أَبَادَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى؟
وَجَاءَ فِرْعَوْنُ مَلِكُ مِصْرَ، وَمَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْكُفَّارِ، وَقَوْمُ لُوطٍ؛ أَصْحَابُ الْقُرَى الَّتِي انْقَلَبَتْ بِهِمْ، حَتَّى صَارَ عَلَيْهَا سَافِلُهَا، كُلُّ هَؤُلَاءِ قَدْ جَاؤُوا بِالْفَعْلَةِ الْخَاطِئَةِ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَالتَّكْذِيبِ وَالظُّلْمِ، وَمَا انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَوَاحِشِ وَالْفُسُوقِ

فَخَالَفَ كُلُّ مَنْ فِرْعَوْنَ وَمَنْ قَبْلَهُ وَقَوْمُ لُوطٍ: رَسُولَ رَبِّهِمُ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ، فَأَهْلَكُنَا كُلَّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ إِهْلَاكًا شَدِيدًا عَظِيمًا زَائِدًا عَنِ الْحَدِّ؛ لَزِيَادَةِ أَعْمَالِهِمْ فِي السُّوءِ وَالْفُجْحِ
إِنَّا لَمَّا كَثُرَ الْمَاءُ وَارْتَفَعَ حَتَّى تَجَاوَزَ حَدَّهُ الْمَعْرُوفَ؛ لِإِغْرَاقِ قَوْمِ نُوحٍ، حَمَلْنَا آبَاءَكُمْ فِي سَفِينَةِ نُوحٍ الْجَارِيَةِ عَلَى الْمَاءِ

لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ -يُهَا الْمُؤْمِنُونَ- تَذْكِيرًا وَمَوْعِظَةً، فَتَتَذَكَّرُوا أَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ الْكَافِرِينَ، وَأَنْجَى الْمُؤْمِنِينَ، وَتَسْتَدِلُّوا بِذَلِكَ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَحُكْمَتِهِ، وَقَهْرِهِ لِأَعْدَائِهِ، وَرَحْمَتِهِ بِأَوْلِيَائِهِ، وَتَحْفَظُهَا أَذُنٌ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَحْفَظَ وَتَعْقِلَ عَنِ اللَّهِ مَا سَمِعَتْ، وَتَنْتَفِعَ بِهِ، وَلَا تُضَيِّعَهُ بِتَرْكِ الْعَمَلِ بِهِ

فَإِذَا نَفَخَ الْمَلَكُ فِي الْقَرْنِ الْمَوْكَلِّ بِهِ، نَفْخَةً وَاحِدَةً لَا يُحْتَاجُ لِحُصُولِ الْمُرَادِ مِنْهَا إِلَى تَكَرُّرِهَا؛ فَأَمْرُ اللَّهِ لَا يُخَالَفُ وَلَا يُمَانَعُ

وَإِذَا رُفِعَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَأُزِيلَتَا مِنْ أَمَاكِنِهِمَا، فَدَقَّتَا دَقَّةً
وَاحِدَةً شَدِيدَةً حَتَّى تَفْتَتَتَا وَكُسِرَتَا
فِيَوْمٍ يُفْخَخُ فِي الصُّورِ، وَتُذَكُّ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، تَقَعُ السَّاعَةُ،
وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ حِينَئِذٍ
وَتَتَصَدَّعُ السَّمَاءُ وَتَنَشَقُّ، فَتَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُتَشَقِّقَةً ضَعِيفَةً
خَفِيفَةً لَا تَتَمَاسِكُ

وَيَكُونُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَطْرَافِ السَّمَاءِ وَحَافَاتِهَا حِينَ تَنَشَقُّ،
خَاضِعِينَ لِلَّهِ، مُسْتَكِينِينَ لِعَظَمَتِهِ، وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَ
رُؤُوسِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَمَانِيَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ جَمِيعُ تِلْكَ الْأُمُورِ تُعَرَضُونَ -أَيُّهَا
النَّاسُ- عَلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ لِمُحَاسَبَتِكُمْ دُونَ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ أَيْ شَيْءٍ
مِنْكُمْ

فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ كِتَابَ أَعْمَالِهِ بِيَدِهِ الْيُمْنَى -وَذَلِكَ دَلِيلُ نَجَاتِهِ-
فَإِنَّهُ يَقُولُ فَرِحًا مُسْتَبْشِرًا: خُذُوا اقْرَأُوا كِتَابِي، وَانظُرُوا مَا فِيهِ
مِنْ حَسَنَاتِي

إِنِّي كُنْتُ قَدْ عَلِمْتُ وَأَيَّقَنْتُ فِي الدُّنْيَا أَنِّي سَابِعْتُ، وَأُلْقَى
جِسَابِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَحَرَصْتُ عَلَى الْقِيَامِ بِالصَّالِحَاتِ؛ تَأْهُبًا
لِذَلِكَ الْيَوْمِ

فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ حَسَنَةٍ، شَدِيدُ الرِّضَا بِهَا، قَدْ وَجَدَ فِيهَا عَظِيمَ
الثَّوَابِ، وَالْأَمْنِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْعِقَابِ

فِي جَنَّةٍ مُرْتَفِعَةٍ الْمَكَانِ، عَالِيَةِ الْمَبَانِي وَالْقُصُورِ وَالْأَشْجَارِ
ثَمَارُ أَشْجَارِ تِلْكَ الْجَنَّةِ قَرِيبَةٌ، يَسْهُلُ تَنَاوُلُهَا لِمَنْ يُرِيدُ قَطْفَهَا؛
فَلَا كُلْفَةٌ وَلَا مَشَقَّةٌ عَلَيْهِمْ فِي اخْتِذَاهَا

يُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: كُلُوا مِنْ طَعَامِ الْجَنَّةِ، وَاشْرَبُوا مِنْ شَرَابِهَا،
مُتَهَنِّتِينَ فِي أَكْلِكُمْ وَشُرْبِكُمْ بِالطَّيِّبِ اللَّذِيزِ الَّذِي لَا يَصْحَبُهُ أَدَى
وَلَا تَكْدِيرٌ وَلَا تَنْغِصُ، وَهَذَا الْجَزَاءُ الْمَقْدَّمُ لَكُمْ؛ بِسَبَبِ مَا
قَدَّمْتُمُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي أَيَّامِ الدُّنْيَا الْمَاضِيَةِ
وَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ كِتَابَ أَعْمَالِهِ بِيَدِهِ الشِّمَالِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ نَادِمًا
مُتَحَسِّرًا: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُعْطِ كِتَابَ أَعْمَالِي السَّيِّئَةِ

وَلَمْ أَعْلَمْ مَا حِسَابِي
يَا لَيْتَ مَوْتَنِي فِي الدُّنْيَا كَانَتْ نَهَايَةَ حَيَاتِي، وَلَمْ أُبْعَثْ
لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ
لَمْ يَدْفَعْ عَنِّي مَالِي الَّذِي جَمَعْتُهُ فِي الدُّنْيَا شَيْئًا مِنْ عَذَابِ
الْآخِرَةِ

زَالَ عَنِّي مُلْكِي وَجَاهِي، وَذَهَبَتْ حُجَّتِي
يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَانِكَتِهِ: خُذُوا هَذَا الْكَافِرَ فَضَعُوا الْقَيْدَ فِي
عُنُقِهِ

ثُمَّ اغْمِسُوهُ وَاغْمُرُوهُ فِي النَّارِ
ثُمَّ اجْعَلُوهُ فِي سِلْسَلَةٍ طَوَّلُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا، فَيَتَعَذَّبُ بِهَا
اسْتَحَقَّ هَذَا الْكَافِرُ ذَلِكَ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَا
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ذِي الْعِزَّةِ النَّامَةِ الْكَامِلَةِ
وَلِأَنَّهُ كَانَ لَا يَحْتُ غَيْرَهُ عَلَى إِطْعَامِ الْمَحْتَاجِينَ
فَلَيْسَ لِهَذَا الْكَافِرِ فِي هَذَا الْيَوْمِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ أَيُّ قَرِيبٍ
يَنْفَعُهُ، فَيَدْفَعُ عَذَابَ اللَّهِ عَنْهُ

وَلَيْسَ لِهَذَا الْكَافِرِ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ
لَا يَأْكُلُ هَذَا الطَّعَامَ إِلَّا الْوَاقِعُونَ فِي الْخَطَايَا عَمْدًا، مِنَ
الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالْمُشْرِكِينَ بِهِ

أَقْسِمُ بِجَمِيعِ مَا تَرَوْنَهُ وَتُشَاهِدُونَهُ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنَ الْأَشْيَاءِ
كُلِّهَا؛ كَبِيرَهَا وَصَغِيرَهَا

وَجَمِيعِ مَا لَا تَرَوْنَهُ وَمَا غَابَ عَنْكُمْ
إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَتْلُوهُ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ، وَيُبَلِّغُهُمْ إِيَّاهُ

وَمَا هَذَا الْقُرْآنُ بِكَلَامِ شَاعِرٍ كَمَا يَزْعُمُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَلِيلٌ هُوَ
إِيمَانُكُمْ بِمَا وَجَبَ عَلَيْكُمْ الْإِيمَانُ بِهِ أَيُّهَا الْمَشْرُكُونَ

وَمَا هَذَا الْقُرْآنُ بِكَلَامِ كَاهِنٍ كَاذِبٍ يَدَّعِي عِلْمَ الْغَيْبِ كَمَا
يَزْعُمُهُ الْكُفَّارُ، قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ، فَتَعْتَبِرُونَ وَتَتَعِظُونَ أَيُّهَا
الْمَشْرُكُونَ

هَذَا الْقُرْآنُ تَنْزِيلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى عَبْدِهِ
وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، فَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقًّا
وَلَوْ ادَّعَى مُحَمَّدٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ الْكَاذِبَةِ،
فَنَسَبَ إِلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَقُلْهُ

لَعَاجِلُنَاهُ بِالْعُقُوبَةِ، وَانْتَقَمْنَا مِنْهُ بِقُوَّتِنَا وَقُدْرَتِنَا
ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْ مُحَمَّدٍ عِرْقَ قَلْبِهِ، فَأَمْنَاهُ
فَلَا أَحَدَ مِنْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِقَادِرٍ عَلَى مَنَعِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ
عُقُوبَةِ مُحَمَّدٍ إِنْ كَذَّبَ عَلَى رَبِّهِ

وَإِنَّ الْقُرْآنَ مُذَكِّرٌ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَمْتَثِلُونَ أَوَامِرَ اللَّهِ تَعَالَى،
وَيَحْتَنِبُونَ نَوَاهِيَهُ، فَيَعْتَبِرُونَ بِهِ وَيَتَعِظُونَ
وَأِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَعَ وُضُوحِ الْحَقِّ فِيهِ،
وَسُجَاذِيهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ

وَإِنَّ الْقُرْآنَ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ، فَيَنْدَمُونَ عَلَى تَرْكِ
الْإِيمَانِ بِهِ

وإِنَّ الْفُرَانَ لَهِوَ الْحَقِّ الثَّابِتُ الْمُؤَكَّدُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَا فِي
نُزُولِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى
فَنَزَرَهُ رَبُّكَ الْمُنْصِفَ بِكَمَالِ الْعِظَمَةِ - يَا مُحَمَّدُ - عَنْ كُلِّ نَقْصٍ
وَعَيْبٍ، قَائِلًا: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ
دَعَا دَاعٍ مِنَ الْكُفَّارِ بِعَذَابِ اللَّهِ مُتَعَجِّلًا لَهُ، وَهُوَ وَقَعَ بِالْكَفَّارِ
لَا مُحَالَةً

لَيْسَ لِلْعَذَابِ الْوَاقِعِ عَلَى الْكَافِرِينَ أَيُّ دَافِعٍ يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ
وَهَذَا الْعَذَابُ وَقَعَ مِنَ اللَّهِ ذِي الْعُلُوِّ وَالذَّرْجَاتِ وَالْفَوَاضِلِ
وَالنِّعَمِ، فَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ دَفْعُهُ
تَصْعَدُ الْمَلَائِكَةُ وَجِبْرِيلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ قَدْرُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ
فَاصْبِرْ - يَا مُحَمَّدُ - عَلَى تَكْذِيبِ الْمُشْرِكِينَ بِكَ، وَأَذَاهُمْ لَكَ،
صَبْرًا جَمِيلًا لَا جَزَعَ فِيهِ وَلَا شِكَايَةَ، وَلَا قِلَّةَ رِضَا وَلَا تَعْجُلَ؛
فَلَا تَسْتَعْجِلْ عَذَابَهُمْ وَالنَّصَرَ عَلَيْهِمْ، وَتَحْمَلْ مَشَاقَّ دَعْوَتِهِمْ إِلَى
اللَّهِ بِلَا ضَجَرٍ وَلَا مَلَلٍ
إِنَّ الْكَافِرِينَ يَرَوْنَ عَذَابَ الْآخِرَةِ غَيْرَ كَائِنٍ وَقُوْعُهُ؛ لَعَدَمِ
إِيمَانِهِمْ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ
نَحْنُ نَرَى الْعَذَابَ النَّازِلَ بِهِمْ قَرِيبَ الْوُقُوعِ؛ لِأَنَّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ
بُوقُوْعِهِ فَهُوَ آتٍ لَا مُحَالَةً، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ
يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالشَّيْءِ الْمَائِعِ الَّذِي بَلَغَ أَقْصَى الْغَايَةِ فِي
شِدَّةِ الْحَرَارَةِ
وَتَكُونُ الْجِبَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالصُّوفِ الْمَصْبُوغِ

وَلَا يَسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرِيبٌ فِي غَايَةِ الْقُرْبِ وَالصَّدَاقَةِ قَرِيبًا
مِثْلَهُ عَنْ حَالِهِ وَشَأْنِهِ؛ لِشُغْلِ كُلِّ إِنْسَانٍ بِنَفْسِهِ عَنْ غَيْرِهِ؛ لَشِدَّةِ
مَا يَعْتَرِيهِ مِنَ الْهَوْلِ وَالْفَزَعِ

يُعْرِفُ كُلُّ حَمِيمٍ بِحَمِيمِهِ حَتَّى يَعْرِفَهُ، وَيَرَى مَا فِيهِ مِنْ كَرْبٍ
وَشِدَّةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَسْأَلُ عَنْ حَالِهِ وَشَأْنِهِ؛ لَشِدَّةِ انْشِغَالِهِ بِنَفْسِهِ.
يَرْغَبُ الْكَافِرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَيَتَمَنَّى أَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ تَقْدِيمُ أَبْنَائِهِ
لِإِنْفَادِ نَفْسِهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَيُعَذِّبُونَ عَوْضًا عَنْهُ، وَيَسْلَمُ هُوَ
وَيَتَمَنَّى أَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ تَقْدِيمُ زَوْجَتِهِ وَإِخْوَانِهِ؛ فَيُعَذِّبُونَ عَوْضًا
عَنْهُ

وَيَوَدُّ أَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ تَقْدِيمَ عَشِيرَتِهِ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا تَضُمُّهُ
وَتَنْصُرُهُ وَتُعِينُهُ، فَتُعَذِّبُ هِيَ عَوْضًا عَنْهُ

وَيَرْغَبُ فِي تَقْدِيمِ جَمِيعِ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَصْدِقَائِهِ
وغيرهم، فَيُعَذِّبُونَ بَدَلًا مِنْهُ، وَيَنْجُو بِذَلِكَ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ
لَنْ يَكُونَ لِلْمُجْرِمِ مَا تَمَنَّا مِنْ الْإِفْتِدَاءِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، فَلَيْسَ
يُنْجِيهِ مِنَ النَّارِ شَيْءٌ؛ إِنَّهَا نَارٌ مُتْلَهَبَةٌ مُتَوَقِّدَةٌ شَدِيدَةُ الْحَرَارَةِ
تَنْزَعُ تِلْكَ النَّارُ أَطْرَافَ أَبْدَانِ الْمُجْرِمِينَ -كَالْيَدِينَ وَالرِّجْلَيْنِ-
، وَجِلْدَةَ رُؤُوسِهِمْ

تَدْعُو تِلْكَ النَّارُ إِلَيْهَا كُلَّ مَنْ أَدْبَرَ فِي الدُّنْيَا عَنِ الْحَقِّ، وَتَوَلَّى
عَنْهُ إِلَى الْبَاطِلِ

وَجَمَعَ الْأَمْوَالَ فَكَتَرَهَا، وَمَنَعَ حَقَّ اللَّهِ فِيهَا، فَلَمْ يُنْفِقْ مِنْهَا
فِيمَا أَمَرَهُ

إِنَّ النَّاسَ قَدْ طُبِعُوا وَرُكِّبُوا عَلَى شِدَّةِ الْحَرِصِ الَّذِي يَتَرْتَّبُ
عَلَيْهِ الْجَزَعُ وَالْمَنْعُ، فَلَا يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى النِّعَمَاءِ، وَلَا
يَصْبِرُونَ عَلَى الضَّرَرِّ .

إذا أصاب الإنسان بلاءٌ -كفقرٍ، أو مَرَضٍ، أو فَقْدِ حَبِيبٍ-
فإنَّه يَجْزَعُ بِشِدَّةٍ، ولا يَصْبِرُ
وإذا أصاب الإنسان خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ، فصار غَنِيًّا كَثِيرَ المالِ؛
فإنَّه يَغْدُو شَدِيدَ الْبُخْلِ بِماله، فلا يُنْفِقُه في طاعةِ الله، ولا يُعْطِي
منه ذَوِي الْحَاجَةِ مِنْ عِبَادِ الله

إِلَّا الْمَصْلِيْنَ الْمُتَصِفِينَ بِالْأَوْصَافِ الْآتِيَةِ، فليَسُوا كَذَلِكَ؛ فهم
صَابِرُونَ فِي الضَّرَاءِ، شَاكِرُونَ فِي السَّرَّاءِ
الَّذِينَ يُوَاطِبُونَ عَلَى أَدَاءِ صَلَوَاتِهِمْ الْمَفْرُوضَةِ عَلَى الْوَجْهِ
الصَّحِيحِ، فلا يَتَخَفُونَ عَنْهَا، ولا يَتْرُكُونَهَا
وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَصِيبٌ لِمَنْ ذُوِي الْحَاجَةِ
فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ الَّذِي يَسْأَلُ النَّاسَ الصَّدَقَاتِ،
وَالْمَتَعَفِّفِ الَّذِي لَا يَسْأَلُ النَّاسَ رَغَمَ حَاجَتِهِ وَفَقْرِهِ الشَّدِيدِ .
وَالَّذِينَ يَقْرُونَ بِمَجِيءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ الْحِسَابُ
وَالْجَزَاءُ

وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ وَجُلُونَ خَذِرُونَ
إِنَّ عَذَابَ اللَّهِ غَيْرُ مَأْمُونٍ لِأَحَدٍ؛ فَوَجِبَ الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ مِنْهُ،
بِتَرْكِ مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ .

وَالَّذِينَ هُمْ صَائِنُونَ لِفُرُوجِهِمْ مِنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى
عَلَيْهِمْ بِشَأْنِهَا

هُمْ يَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ إِلَّا مِنْ زَوَاجَتِهِمْ أَوْ مِنْ إِمَائِهِمُ اللَّاتِي
يَمْلِكُونَهُنَّ، فلا حَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي وَطْئِهِنَّ، وَالِاسْتِمْتَاعَ بِهِنَّ عَلَى
الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ، وَلَا يُلَامُونَ عَلَى ذَلِكَ .

فَمَنْ طَلَبَ الْاسْتِمْتَاعَ بِغَيْرِ زَوْجَتِهِ وَجَارِيَّتِهِ فَهُمْ الْمُعْتَدُونَ،
الْمُجَاوِزُونَ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَا حَرَّمَهُ

وَالَّذِينَ هُمْ لِمَا اُنْتَمَنَهُمُ اللّٰهُ وَالنَّاسُ عَلَيْهِ، وَلَعُهودِهِمْ مَعَ اللّٰهِ
وَعِبَادِهِ: مُرَاعُونَ قَائِمُونَ بِحِفْظِهَا، فَلَا يَخُونُونَ الْأَمَانَاتِ، وَلَا
يَنْقُضُونَ الْعُهُودَ

وَالَّذِينَ هُمْ قَائِمُونَ بِأَدَاءِ الشَّهَادَةِ الْمَطْلُوبَةِ مِنْهُمْ شَرْعًا، وَلَوْ
عَلَى أَقَارِبِهِمْ، فَيَتَحَمَّلُونَهَا، وَيَهْتَمُّونَ بِهَا، وَيَحْفَظُونَهَا حَتَّى
يُؤَدُّوَهَا فِي غَايَةِ التَّمَامِ دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، وَدُونَ تَبْدِيلٍ أَوْ
كِتْمَانٍ

وَالَّذِينَ هُمْ يُحَافِظُونَ عَلَى أَدَاءِ صَلَاتِهِمْ، وَإِقَامَتِهَا عَلَى الْوَجْهِ
الصَّحِيحِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُمْ شَرْعًا

أُولَئِكَ الْمُتَصِفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ: فِي جَنَاتٍ يُكْرِمُهُمُ اللّٰهُ تَعَالَى
فِيهَا بِأَنْوَاعِ الْكَرَامَاتِ، وَأَصْنَافِ الْمَسَرَّاتِ

فَمَا شَأْنُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ -يَا مُحَمَّدُ- يُسْرِعُونَ نَحْوَكَ وَيُقْبِلُونَ
عَلَيْكَ وَأَبْصَارُهُمْ مُتَطَلِّعَةٌ إِلَيْكَ؟!

عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ -يَا مُحَمَّدُ- مُتَفَرِّقِينَ
أَيُطَمَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أُولَئِكَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُدْخِلَهُ اللّٰهُ جَنَّةَ نَعِيمٍ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!

لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَطْمَعُونَ، فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ مَعَ
كُفْرِهِمْ بِاللّٰهِ وَإِشْرَاكِهِمْ بِهِ، إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ نُطْفَةٍ كَمَا يَعْلَمُونَ

أَقْسِمُ بِخَالِقِ وَمُذَبِّبِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، إِنَّا لَقَادِرُونَ
إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى إِهْلَاكِ الْمُشْرِكِينَ، وَالْإِتْيَانِ بِقَوْمٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ

يُطِيعُونَ رَبَّهُمْ وَيَتَّقُونَهُ، وَمَا يَفُوتُنَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَيُعْجِزُنَا هَرَبًا؛
فَاللّٰهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى الْإِتْيَانِ بِخَيْرٍ مِنْهُمْ؛ إِذْ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ

سُبْحَانَهُ

فَاتْرُكِ الْمُشْرِكِينَ - يَا مُحَمَّدُ- يَخُوضُوا فِي بَاطِلِهِمْ، وَيَلْعَبُوا
فِي دُنْيَاهُمْ بِشَهَوَاتِهِمْ، إِلَى أَنْ يُلَاقُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي فِيهِ عَذَابُهُمْ
!

يَوْمَ يَخْرُجُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ مُسْرِعِينَ نَحْوَ مَوْقِفِ
الْحِسَابِ، كَأَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ مُتَعَجِّلِينَ مُسْرِعِينَ إِلَى أَصْنَامِهِمُ الَّتِي
نَصَبُوهَا لِلْعِبَادَةِ يَتَدَرُونَ، أَيُّهُمْ يَسْتَلِمُهُ أَوَّلُ
تَكُونُ أَبْصَارُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَاضِعَةً سَاكِنَةً، وَتَعْشَاهُمْ ذَلَّةً،
ذَلِكَ الْيَوْمُ الْمَوْصُوفُ بِتِلْكَ الشَّدَائِدِ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي كَانَ
الْكَفَّارُ يُوعَدُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ،
وَكَانُوا بِهِ يُكَذِّبُونَ!

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ بِأَنْ حَذِّرْ قَوْمَكَ مِنْ
الِاسْتِمْرَارِ عَلَى شِرْكِهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ فِي غَايَةِ
الْإِيلَامِ

قَالَ نُوحٌ مُمْتَثِلًا مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ: يَا قَوْمِ، إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ
ظَاهِرُ النَّذَارَةِ، أَخَوْفُكُمْ عَذَابُ اللَّهِ إِنْ عَبْدْتُمْ غَيْرَهُ، وَأَبَيِّنُ لَكُمْ مَا
أَرْسَلَنِي اللَّهُ بِهِ

قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ: أَمُرُّكُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَعَدَمِ الْإِشْرَاقِ بِهِ
شَيْئًا، وَأَمُرُّكُمْ بِأَنْ تَجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ سَخَطِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ حَاجِرًا
يَقِيكُمْ ذَلِكَ؛ بِامْتِنَالِ مَا أَمَرَ بِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ، وَأَمُرُّكُمْ
بِطَاعَتِي

فَأَنذَرْتُكُمْ إِنْ عَبْدْتُمْ اللَّهَ وَحْدَهُ وَاتَّقَيْتُمُوهُ وَأَطَعْتُمُونِي، يَمَحُ مِنْ
دُنُوبِكُمْ فَلَا يُؤَاخِذُكُمْ بِهَا وَلَا يُعَاجِلُكُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِعَذَابِ
الِاسْتِنْسَالِ الَّذِي تَسْتَحِقُّونَهُ؛ بِسَبَبِ شِرْكِكُمْ، وَإِنَّمَا يُعَافِيكُمْ إِلَى
مَنْتَهَى أَجَالِكُمُ الْمُقَدَّرَةِ، إِنْ آمَنْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، إِنَّ الْأَجَلَ الَّذِي كَتَبَهُ

اللَّهُ لَمَوْتٍ كُلِّ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ: لَا يُؤَخَّرُ عَنْ وَقْتِهِ، فلو كنتم تعلمون ذلك لَأْتَبُتُمْ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِهِ
قال نوحٌ مُشْتَكِيًا إِلَى رَبِّهِ: رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَى تَوْحِيدِكَ، وَحَذَرْتُهُمْ مِنَ الشِّرْكِ بِكَ وَمَعْصِيَتِكَ
فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي لَهُمْ إِلَى الْحَقِّ لِيَتَّبِعُوهُ إِلَّا هَرَبًا مِنْهُ،
وَإِعْرَاضًا عَنْهُ

وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ إِلَى سَبَبِ الْمَغْفِرَةِ -وهو الإيمانُ بِكَ،
وَتَوْحِيدِكَ وَطَاعَتِكَ- لَيَتَمَحَوْ بِذَلِكَ ذُنُوبَهُمْ، وَتَتَجَاوَزَ عَنْ
مُؤَاخَذَتِهِمْ بِهَا؛ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ، فَسَدُّوْهَا؛ كِي لَا
يَسْمَعُوا كَلَامِي، وَتَعَطَّوْا بِنِيَابِهِمْ لئَلَّا يَرَوْنِي؛ مُبَالِغَةً مِنْهُمْ فِي
الْإِعْرَاضِ عَنِّي، وَاسْتَمَرُّوْا عَلَى شِرْكِهِمْ وَلَمْ يَتُوبُوا، وَتَعَاضَّمُوا
وَتَكَبَّرُوا عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ، وَعَنْ اتِّبَاعِهِ

ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي إِلَى الْحَقِّ بِمَسْمَعٍ مِنْهُمْ، مُجَاهِرًا بِالْأَعْوَةِ
ثُمَّ إِنِّي أَظْهَرْتُ دَعْوَتِي لَهُمْ، وَأَشْعَنْتُهَا وَنَشَرْتُهَا بَيْنَهُمْ،
وَدَعَوْتُهُمْ سِرًّا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فِي الْخَفَاءِ

فَقُلْتُ لَهُمْ: اطْلُبُوا مِنْ رَبِّكُمْ أَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، فَيَمْحَوْهَا
عَنْكُمْ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُؤَاخَذَتِكُمْ بِهَا، إِنَّ اللَّهَ مَتَّصِفٌ أَزَلًا وَأَبَدًا
بِكَمَالِ الْمَغْفِرَةِ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ

فَأَتَّكُمْ إِنْ اسْتَغْفَرْتُمْ رَبَّكُمْ يُرْسِلْ عَلَيْكُمْ أَمْطَارًا مُتَتَابِعَةً
مُتَوَاصِلَةً

وَيُعْطِيَكُمْ رَبُّكُمْ أَمْوَالًا وَأَبْنَاءً، وَيُكَثِّرْ ذَلِكَ لَكُمْ، وَيَجْعَلَ لَكُمْ فِي
الدُّنْيَا بَسَاتِينَ فِيهَا أَنْوَاعُ الثَّمَارِ، وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا جَارِيَةً
مَا لَكُمْ لَا تَعْظُمُونَ اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ عَظَمَتِهِ؛ فَتُوجِّدُوهُ
وَتُطِيعُوهُ؟!

كَيْفَ تَتْرُكُونَ تَعْظِيمَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِجْلَالَهٖ، وَقَدْ جَعَلَ لَكُمْ فِي
أَنْفُسِكُمْ آيَةً تَذُلُّ عَلَى تَوْحِيدِهِ، وَتَحْمِلُ عَلَى تَعْظِيمِهِ، وَهِيَ خَلْقُهُ
إِيَّاكُمْ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَكُنْتُمْ نُطْفَةً، ثُمَّ عَلَقَةً، ثُمَّ مُضْغَةً، إِلَى تَمَامِ
خَلْقِكُمْ؟!

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ؛
فَتَسْتَدِلُّوْا بِذَلِكَ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ، وَاسْتِحْقَاقِهِ لِلْعِبَادَةِ دُونَ مَا
سِوَاهُ؟!

وَجَعَلَ اللَّهُ الْقَمَرَ فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ نُورًا، وَجَعَلَ اللَّهُ الشَّمْسَ
مِصْبَاحًا مُضِيئًا
وَاللَّهُ ابْتَدَأَ خَلْقَ آبَائِكُمْ آدَمَ مِنْ تُرَابِ الْأَرْضِ، فَأَصْلُ نَشَاتِكُمْ
مِنْهَا

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، فَتُدْفَنُونَ فِيهَا،
وَتَصِيرُونَ تُرَابًا كَمَا كُنْتُمْ قَبْلَ خَلْقِكُمْ، وَيُخْرِجُكُمْ اللَّهُ مِنَ الْأَرْضِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، فَتَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ أَحْيَاءً
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَبْسُوطَةً مَمْهَدَةً كَالْفِرَاشِ
لَتَتَّخِذُوا مِنْهَا طُرُقًا وَاسِعَةً سَهْلَةً مُيسَّرَةً لِلسَّيْرِ فِيهَا
قَالَ نُوحٌ: رَبِّ إِنَّ قَوْمِي خَالَفُوا مَا أَمَرْتُهُمْ بِهِ، وَرَبُّوْا مَا
دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَتَّبِعُونِي عَلَى الْحَقِّ
وَاتَّبَعُوا عَلَى الْبَاطِلِ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا الَّذِينَ لَمْ تَزِدْهُمْ كَثْرَةً أَمْوَالِهِمْ
وَأَوْلَادِهِمْ إِلَّا هَلَكَآ وَبُعْدًا مِنَ اللَّهِ، وَضَلَالًا عَنِ الْحَقِّ
وَمَكْرُوا مَكْرًا كَبِيرًا جَدًّا بَنُوْحَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَتْرُكُوا أَصْنَامَكُمْ الَّتِي يَنْهَاكُمْ نُوحٌ
عَنْ عِبَادَتِهَا، وَلَا تَتْرُكُوا عِبَادَةَ الصَّالِحِينَ: وَدٍّ، وَسَوَاعٍ،
وَيَعُوْثَ، وَيَعُوْقَ، وَنَسْرٍ!

وقد أضلُّوا كثيرًا مِنَ النَّاسِ عن طَرِيقِ الْحَقِّ، ولا تَزِدْهُ هَؤُلَاءِ
الظَّالِمِينَ بِالشِّرْكِ وَالْكَفْرِ وَالتَّكْذِيبِ إِلَّا ضَلَالًا عَنِ الْحَقِّ؛ حَتَّى
يَمُوتُوا عَلَى ضَلَالِهِمْ، وَيَزِدُّوهُمُ إِثْمًا وَعُقُوبَةً عَلَى بَاطِلِهِمْ
بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ أَغْرَقَهُمُ اللَّهُ، فَأَدْخَلُوا نَارًا يُعَذِّبُونَ فِيهَا، فَلَمْ يَجِدْ
قَوْمُ نُوحٍ حِينَ أُغْرِقُوا وَأَدْخَلُوا النَّارَ أَعْوَانًا وَمُغِيثِينَ
يَنْصُرُونَهُمْ، وَيَمْنَعُونَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ

وقال نوحٌ: رَبِّ لَا تُثَبِّقْ عَلَى الْأَرْضِ أَحَدًا حَيًّا مِنَ الْكَافِرِينَ
إِنَّكَ إِنِ أَبْقَيْتَهُمْ أَحْيَاءَ يُضِلُّوا عِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَصُدُّوهُمْ عَنِ
الْحَقِّ، وَيُزَيِّنُوا لَهُمُ الْبَاطِلَ، وَلَا يَلِدُوا إِلَّا مَنْ سَيَكُونُ فَاجِرًا شَدِيدَ
الْفَسَادِ، وَكَثِيرَ الْكَفْرِ بَرَبِّهِ

وقال نوحٌ: رَبِّ امْحُ الذُّنُوبَ عَنِّي وَعَنْ وَالدِّيِّ، واسْتَرْهَا
عَلَيْنَا، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِهَا، وَاعْفِرْ لِمَنْ دَخَلَ مَنزِلِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،
وَاعْفِرْ ذُنُوبَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ
أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ إِلَّا هَلَاكًا

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ-: أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجِنِّ
لِلْقُرْآنِ، فَقَالَ أَوْلَئِكَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ: إِنَّا سَمِعْنَا قِرَاءَنَا عَجِيبًا بَدِيعًا
خَارِجًا عَنِ الْعَادَةِ، فَلَا حَدِيثَ مِثْلَهُ

وهذا القرآنُ يَدُلُّ عَلَى الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالصَّوَابِ وَالهُدَى،
فَأَمَّا بِهِ، وَلَنْ نَجْعَلَ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ شَرِيكًا لِلَّهِ تَعَالَى فَهُوَ الْمُتَقَرِّدُ
بِالرُّبُوبِيَّةِ

وَأَنَّهُ تَعَالَتْ عَظَمَةُ رَبِّنَا وَجَلَّالُهُ، لَمْ يَتَّخِذِ اللَّهُ تَعَالَى زَوْجَةً لَهُ،
وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا

وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ جَاهِلُنَا - الْمَلَا زُمُ لِلطَّيْشِ وَالْعَيِّ - عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
وَجَوْرًا بَعِيدًا عَنِ الْعَدْلِ وَالصَّوَابِ، وَمِنْ ذَلِكَ ادِّعَاءُ الشَّرِيكِ
وَالزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وَأَنَا قَبْلَ سَمَاعِنَا لِلْقُرْآنِ وَإِيمَانِنَا بِاللَّهِ كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ الْإِنْسَ
وَالْجِنَّ صَادِقُونَ فِي ادِّعَاءَاتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَنْ يَجْرُؤُوا عَلَى الْكَذِبِ
عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيَدَّعُوا لَهُ الشَّرِيكَ وَالصَّاحِبَةَ وَالْوَلَدَ كَذِبًا وَزُورًا
وَأَنَّهُ كَانَ رَجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ إِذَا نَزَلُوا مَنَزِلًا يَسْتَعِيدُونَ
وَيَسْتَجِيرُونَ بَعْظِيمَ ذَلِكَ الْمَكَانِ وَسَيِّدَهُ مِنَ الْجِنِّ؛ طَلَبًا لِلْأَمَانِ
وَالسَّلَامَةِ مِمَّا يَخَافُونَ وَيَحْذَرُونَ، فَزَادَ الْإِنْسُ الْجِنَّ طُغْيَانًا
وَكِبْرًا حِينَ رَأَوْا الْإِنْسَ يَسْتَعِيدُونَ بِهِمْ

وَأَنَّ كُفَّارَ الْجِنِّ ظَنُّوا - كَمَا ظَنَّ كُفَّارُ الْإِنْسِ - أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَبْعَثَ
أَحَدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ

وَأَنَا أَتَيْنَا السَّمَاءَ لِنَسْتَمَعَ فِيهَا بَعْضًا مِنْ أَخْبَارِ الْغَيْبِ كَمَا
جَرَتْ عَادَتُنَا، فَوَجَدْنَاهَا مَمْلُوءَةً بِخُرَاسٍ أَشِدَّاءَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
يَحْفَظُونَهَا مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَمَمْلُوءَةً بِشُّهْبٍ تَرْجُمُهُمْ وَتُحْرِقُهُمْ إِنْ
أَرَادُوا اسْتِرَاقَ السَّمْعِ

وَأَنَا كُنَّا فِيمَا مَضَى نَقْعُدُ فِي مَوَاضِعَ مِنَ السَّمَاءِ؛ مِنْ أَجْلِ
اسْتِمَاعِ بَعْضِ مَا تَتَحَدَّثُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مِمَّا هُوَ كَائِنٌ، فَمَنْ أَرَادَ مِنَ
الشَّيَاطِينِ الْاسْتِمَاعَ الْآنَ لِأَخْبَارِ السَّمَاءِ، فَإِنَّهُ يُرْمَى بِشِهَابٍ مِنْ
نَارٍ مُرْصَدٍ لَهُ؛ لِمَنْعِهِ مِنَ الْاسْتِمَاعِ، أَوْ إِحْرَاقِهِ

وَأَنَا لَا نَدْرِي الْغَايَةَ مِنْ وَرَاءِ حِرَاسَةِ السَّمَاءِ بِالْمَلَائِكَةِ
وَالشُّهْبِ: أَهِيَ أَنْزَالُ عَذَابٍ بِأَهْلِ الْأَرْضِ، أَمْ أَرَادَ رَبُّهُمْ بِهِمْ
هُدًى وَخَيْرًا وَصَلَاحًا؟

وَأَنَا مِنَّا الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ، وَمِنَّا مَنْ هُمْ دُونَهُمْ، كُنَّا مَذَاهِبَ مُتَعَدِّدَةٍ، وَأَرَاءَ مُتَفَرِّقَةٍ، وَأَهْوَاءَ مُخْتَلِفَةٍ

وَأَنَا عَلِمْنَا يَقِينًا أَنَّنَا فِي سُلْطَانِ اللَّهِ وَقَبْضَتِهِ وَتَحْتِ قُدْرَتِهِ، فَلَا يُمَكِّنُنَا الْإِفْلَاطُ مِنْهُ فِي الْأَرْضِ وَالنَّجَاةُ مِنَ السُّوءِ وَالْعَذَابِ إِذَا أَرَادَهُ بِنَا، وَإِنْ هَرَبْنَا مِنْهُ لَمْ نَنْجُ، فَلَنْ نُعْجِزَهُ إِنْ طَلَبْنَا وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْقُرْآنَ الَّذِي يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، آمَنَّا بِهِ دُونَ تَرَدُّدٍ، فَمَنْ يَوْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ أَنْ يَنْقُصَ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَلَا أَنْ يَزِيدَ شَيْئًا فِي سَيِّئَاتِهِ

وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ، السَّائِرُونَ عَلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمِنَّا الْجَائِرُونَ الْعَادِلُونَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ الْقَوِيمِ. فَمَنْ أَسْلَمَ لِلَّهِ تَعَالَى بِالتَّوْحِيدِ، وَخَضَعَ لَهُ بِالطَّاعَةِ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَخَّوْا وَقَصَدُوا الْحَقَّ وَالصَّوَابَ، وَسَلَكُوا طَرِيقَهُ الْمَوْصِلَ إِلَى الْجَنَّةِ

وَأَمَّا الْجَائِرُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ، الْعَادِلُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى غَيْرَهُ؛ فَكَانُوا وَفُودًا لَجَهَنَّمَ، تَتَوَقَّدُ بِهِمْ؛ جِزَاءً عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

وَأَنْ لَوْ عَدَلَ الظَّالِمُونَ إِلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ، وَاسْتَقَامُوا عَلَى طَرِيقَةِ الْحَقِّ، لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً كَثِيرًا غَزِيرًا عَظِيمَ النَّفْعِ، نُكْثِرُ بِهِ الرِّزْقَ، وَنُزَيِّنُ بِهِ الْأَرْضَ، وَنُرْغِذُ بِهِ الْعَيْشَ

لِنُخْتَبِرَ هُمْ فِيهَا وَسَعْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّزْقِ، فَيَنْكَشِفُ الشَّاكِرُ مِنْ غَيْرِهِ، وَيُظْهَرُ مَنْ يَسْتَمِرُّ مِنْهُمْ عَلَى الْهُدَايَةِ، وَمَنْ يَرْتَدُّ إِلَى الْعَوَايَةِ! وَمَنْ يُعْرِضُ عَنِ الْقُرْآنِ -فَلَا يَتَّبِعُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ-؛ يُدْخِلْهُ اللَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا شَاقًّا لَا يُطِيقُهُ

وَأَنَّ جَمِيعَ الْمَسَاجِدِ الَّتِي هِيَ بَيُوتٌ لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى: هِيَ لَهُ
وَحْدَهُ؛ فَلَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ فِيهَا أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، وَأَفْرِدُوهُ وَحْدَهُ
بِالسُّؤَالِ وَالْعِبَادَةِ

وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ مُحَمَّدٌ يَدْعُو اللَّهَ، كَادَ الْجَنُّ يَكُونُونَ عَلَيْهِ جَمَاعَاتٍ
يَتَرَاكُمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ
قُلْ -يَا مُحَمَّدُ-: إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَحْدَهُ، وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا مِنْ
خَلْقِهِ

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ-: إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَا ضَلَالَةً
وَلَا صَوَابًا وَسَدَادًا؛ فَإِنَّمَا الْمَرْجِعُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ لَيْسَ لِي مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ
قُلْ -يَا مُحَمَّدُ-: إِنِّي لَنْ يُنْقِذَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ إِنْ أَرَادَ أَنْ يُصِيبَنِي
بُضْرٍ، وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَلَجًا أَلْجَأُ إِلَيْهِ
لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَلَجًا إِلَّا أَنْ أُبْلَغَ عَنْهُ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ؛ فَإِنَّ
فِيهِ الْأَمَانَ وَالنَّجَاةَ

حَتَّى إِذَا رَأَى الْكُفَّارُ مَا وَعَدَهمُ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ وَشَاهَدُوهُ
عَيْنًا، وَأَيَّقُوا بوقوعه؛ فَسَيَعْلَمُونَ جِنَاحَها مِنَ الْأَضْعَفُ نَاصِرًا
وَمَانِعًا لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَمَنْ الْأَقْلُ عَدَدًا: هُمْ أَوْ الْمُؤْمِنُونَ
الْمُؤَحِّدُونَ لِلَّهِ تَعَالَى؟

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِلْمُشْرِكِينَ: لَا أَدْرِي أَقْرَبُ الْوَقْتِ الَّذِي
وَعَدَكمُ اللَّهُ بوقوعِ الْعَذَابِ فِيهِ، أَمْ يَجْعَلُهُ رَبِّي بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ؟
فَذَلِكَ غَيْبٌ يَعْلَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا أَعْلَمُهُ .

هُوَ وَحْدَهُ عَالِمٌ مَا غَابَ عَنْ خَلْقِهِ، فَلَا يُطْلَعُ عَلَى عِلْمِ الْغَيْبِ
الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ

لا يُظهِرُ اللهُ عَلَى الْغَيْبِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَاهُ مِنْ رُسُلِهِ، فَإِنَّ
اللهَ يُرْسِلُ مِنْ أَمَامِ الرَّسُولِ الَّذِي يُطْلِعُهُ عَلَى بَعْضِ الْغَيْبِ وَمِنْ
خَلْفِهِ حَرَسًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
تَخْلِيضَ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، أَوْ اسْتِرَاقَ شَيْءٍ مِنْهُ

حَفِظَ اللهُ رُسُلَهُ بِمَلَائِكَتِهِ؛ لِيَعْلَمَ -عِلْمٌ وَجُودٍ وَظُهُورٍ- أَنَّ
الرُّسُلَ قَدْ تَمَكَّنُوا مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَاتِهِ كَمَا هِيَ، دُونَ أَنْ يُخَالِطَهَا
مَا يُلَبِّسُ عَلَيْهَا أَوْ يُبَدِّلُهَا، وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُ اللهِ تَعَالَى بِكُلِّ مَا عِنْدَ
الرُّسُلِ، وَعِلْمُ اللهِ سُبْحَانَهُ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَلَا يَخْفَى
عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ

يَا أَيُّهَا الَّذِي التَّقَّى بِالنَّيَابِ وَضَمَّهَا عَلَيْهِ، يَعْنِي: النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فُمْ -يَا مُحَمَّدُ- كُلَّ اللَّيْلِ لِلصَّلَاةِ فِيهِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُ، فَاجْعَلْهُ
لِلرَّاحَةِ وَالنَّوْمِ

فُمْ نِصْفَ اللَّيْلِ، أَوْ انْقُصْ مِنَ النِّصْفِ قَلِيلًا، فَتُصَلِّيْ نَحْوَ
ثُلُثِ اللَّيْلِ

أَوْ زِدْ فِي صَلَاتِكَ عَلَى نِصْفِ اللَّيْلِ، فَتُصَلِّيْ ثُلُثَيْهِ؛ فَلَا حَرَجَ
عَلَيْكَ فِي قِيَامِ نِصْفِ اللَّيْلِ، أَوْ أَقَلَّ مِنَ النِّصْفِ بَقِيلٍ، أَوْ أَكْثَرَ
مِنَ النِّصْفِ، وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ بِتَمَهُّلٍ وَثَوْدَةٍ وَتَبْيِينٍ لِحُرُوفِهِ بِلَا
عَجَلَةٍ؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ عَوْنًا عَلَى التَّفَكُّرِ فِيهِ، وَفَهُم مَعَانِيهِ

إِنَّا سَنُنْزِلُ عَلَيْكَ -يَا مُحَمَّدُ- قُرْآنًا ثَقِيلًا لِمَا فِيهِ مِنَ التَّكَالِيفِ
الشَّقَاقَةِ، وَرَزَانَةِ أَفَاضِهِ؛ لَامْتِلَائِهَا بِالْمَعَانِي مَعَ جَلَالَتِهَا، وَمَا لَهُ
مِنْ قَدَرٍ عَظِيمٍ، وَهُوَ ثَقِيلٌ فِي الْمِيزَانِ، وَلَا يَقْدِرُ الْكَافِرُ عَلَى
رَدِّهِ، أَوْ الطَّعْنِ فِيهِ بِوَجْهِ

إِنَّ سَاعَاتِ اللَّيْلِ بَعْدَ الْقِيَامِ مِنَ النَّوْمِ: أَثْقَلُ عَلَى الْمَصْلِيِّ
وَأَشَقُّ مِنَ صَلَاةِ النَّهَارِ -لَأَنَّ اللَّيْلَ وَقْتُ النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ
وَالسُّكُونِ- وَأَصُوبُ قِرَاءَةً، وَأَصَحُّ قَوْلًا؛ لَهْدُوءِ النَّاسِ، وَسُكُونِ
الْأَصْوَاتِ

إِنَّ لَكَ -يَا مُحَمَّدُ- فِي النَّهَارِ سَعَةً مِنَ الْوَقْتِ وَفَرَاغًا طَوِيلًا
تَتَقَلَّبُ فِيهِ بِالذَّهَابِ وَالْمَجِيِّ؛ لِقَضَاءِ حَوَائِجِكَ وَلِلنَّوْمِ؛ فَتَفَرِّغْ
فِي اللَّيْلِ لِقِيَامِهِ

وَادْكُرْ -يَا مُحَمَّدُ- اسْمَ رَبِّكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَانْقَطِعْ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ يُلْهِيكُ عَنْ طَاعَتِهِ انْقِطَاعًا تَامًا بِالْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ، وَطَلَبِ
الْحَاجَاتِ مِنْهُ دُونَ غَيْرِهِ .

هُوَ خَالِقُ وَمَالِكُ وَمُدَبِّرُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ
إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ

فَاتَّخِذْهُ قَانِمًا بِأُمُورِكَ، وَفَوِّضْهَا إِلَيْهِ، وَاعْتَمِدْ عَلَيْهِ وَحْدَهُ
دُونَ مَنْ سِوَاهُ

وَاصْبِرْ -يَا مُحَمَّدُ- عَلَى مَا يَقُولُهُ مُشْرِكُو قَوْمِكَ؛ مِنَ التَّكْذِيبِ
أَوْ الْاسْتِهْزَاءِ بِكَ، وَاهْجُرْ قَوْمَكَ الْمُشْرِكِينَ فِي ذَاتِ اللَّهِ هَجْرًا
جَمِيلًا لَا عِتَابَ مَعَهُ وَلَا أذى، وَأَعْرِضْ عَنِ الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ، فَلَا
تُقَابِلُهُمْ بِمِثْلِ مَا يَقُولُونَ وَيَفْعَلُونَ

وَدَعْنِي -يَا مُحَمَّدُ- وَالْمَكْذِبِينَ بِالْحَقِّ ذَوِي الْغِنَى وَالثَّرَاءِ،
وَأَهْلَ التَّنَعُّمِ وَالنَّرَفَةِ فِي الدُّنْيَا، فَاتْرُكْ شَأْنَ عُقُوبَتِهِمْ إِلَيَّ، وَلَا
تَهْتَمْ بِتَكْذِيبِهِمْ، وَلَا تَتَشَغَلْ بِالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ. وَانْتَظِرْ -يَا مُحَمَّدُ- وَقْتًا
قَلِيلًا؛ لِيَأْتِيَ مِيعَادُ عَذَابِهِمْ، وَنَنْصِرَ لَكَ مِنْهُمْ؛ فَلَا تَسْتَعْجِلْ
عِقَابَهُمْ

إِنَّ عِنْدَنَا فِي الْآخِرَةِ لِلْمُكَذِّبِينَ بآيَاتِنَا قُبُورًا وَأَغْلَالًا ثَقِيلَةً،
وَنَارًا حَامِيَةً شَدِيدَةَ الْإِتْقَادِ

وَعِنْدَنَا لَهُمْ طَعَامٌ غَيْرُ سَائِغٍ، يَلْقَى فِي حَلْقِ آكِلِهِ، فَلَا يَنْزِلُ
عَنهُ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ وَعِنْدَنَا لَهُمْ عَذَابٌ مُؤَلِّمٌ مُّوجِعٌ شَدِيدٌ
ذَلِكَ وَقَعَ بِهِمْ يَوْمَ تَنْزَلُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَتَضْطَرُّ،
وَتَصِيرُ الْجِبَالُ رَمَلًا مَجْتَمِعًا مُنْصَبًّا رُخْوًا مُتَنَائِرًا

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاهِدًا عَلَى إِيْمَانِ
مَنْ اسْتَجَابَ لَهُ مِنْكُمْ فَاتَّبِعْهُ، وَكُفِّرْ مَنْ خَالَفَهُ وَعَصَاهُ، مِثْلَ مَا
أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا يَدْعُوهُ إِلَى الْحَقِّ، وَهُوَ مُوسَى عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

فَعَصَى فِرْعَوْنُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ وَبِمَا جَاءَ
بِهِ، فَأَهْلَكْنَا فِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ إِهْلَاكًا ثَقِيلًا غَلِيظًا بِإِغْرَاقِهِمْ
أَجْمَعِينَ؛ فَاحْذَرُوا أَنْ تَعْصُوا رَسُولَكُمْ مُحَمَّدًا، فَيُهْلِكَكُمْ اللَّهُ كَمَا
أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ حِينَ عَصَوْا رَسُولَهُمْ

فَكَيْفَ تَحْصُلُ لَكُمْ الْوَقَايَةُ وَالنَّجَاةُ مِنْ كَرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي
يَشِيبُ فِيهِ الْوُلْدَانُ مِنْ فَرْعِهِ وَشِدَّةِ أَهْوَالِهِ، إِنْ بَقِيتُمْ عَلَى الْكُفْرِ
فَلَمْ تُؤْمِنُوا وَتَعْمَلُوا صَالِحًا؟!

السَّمَاءُ مُتَشَقِّقَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ مِنْ شِدَّتِهِ وَعِظَمِ أَهْوَالِهِ! وَمَا وَعَدَ
اللَّهُ بِهِ خَلْقَهُ مِنْ مَجِيءِ الْقِيَامَةِ أَمْرٌ وَقَعَ لَا مُحَالَهَ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى لَا
يُخْلِفُ وَعْدَهُ

إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ يَتَذَكَّرُ بِهَا الْمُتَّقُونَ، وَعِظَةٌ وَعِبْرَةٌ، فَمَنْ شَاءَ
مِنَ النَّاسِ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ طَرِيقًا بِالْإِيْمَانِ بِهِ وَطَاعَتِهِ؛ لِيُظْفَرَ
بِرِضَاهُ وَرَحْمَتِهِ

إِنَّ رَبَّكَ -يا مُحَمَّدُ- يَعْلَمُ أَنَّكَ تُصَلِّي فِي اللَّيْلِ تَارَةً أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثِيهِ، وَتَارَةً تُصَلِّي نِصْفَهُ، وَتَارَةً أُخْرَى تُصَلِّي ثَلَاثَهُ، وَيُصَلِّي ذَلِكَ الْمِقْدَارَ أَيْضًا جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يُقَدِّرُ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَوْقَاتَهُمَا، وَيَعْلَمُ مَقَادِيرَهُمَا، عَلِمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- أَنَّكُمْ لَنْ تُطِيقُوا تَقْدِيرَ مَا طُلِبَ مِنْكُمْ عِلْمًا وَعَمَلًا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ، فَذَلِكَ يَسْتَدْعِي انْتِبَاهًا وَعَنَاءً زَائِدًا؛ فَلِذَا تَابَ عَلَيْكُمْ لِعَجْزِكُمْ وَضَعْفِكُمْ، وَخَفَّفَ عَنْكُمْ بِالتَّرْخِيصِ فِي تَرْكِ الْقِيَامِ الْمَقْدَرِ أَوَّلَ السُّورَةِ، وَرَفَعَ عَنْكُمْ التَّبِعَةَ فِي ذَلِكَ، وَأَمَرَكُمْ بِفَعْلٍ مَا تيسَّرَ لَكُمْ مِنْهُ، سِوَاءَ زَادَ عَلَى الْوَقْتِ الْمَقْدَرِ أَوْ نَقَصَ . فَصَلُّوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مَا تيسَّرَ لَكُمْ مِنَ اللَّيْلِ دُونَ تَحْدِيدٍ، عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى يَضْعَفُونَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي اللَّيْلِ، وَعَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْكُمْ آخَرُونَ يُسَافِرُونَ فِي الْأَرْضِ؛ طَلَبًا لِلرِّزْقِ، فَيَضْعَفُونَ عَنِ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَآخَرُونَ يُجَاهِدُونَ الْكُفَّارَ؛ نُصْرَةً لِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِعْلَاءَ لِكَلِمَتِهِ، فَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ قِيَامُ اللَّيْلِ، فَصَلُّوا -بَعْدَ أَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ- مَا تيسَّرَ لَكُمْ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَحَافِظُوا عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ، بِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَوَاجِبَاتِهَا، وَأَعْطُوا الزَّكَاةَ الْوَاجِبَةَ عَلَيْكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ أَهْلَهَا الْمُسْتَحَقِّينَ لَهَا، وَتَصَدَّقُوا مِنْ طَيِّبِ أَمْوَالِكُمْ بِإِخْلَاصٍ لِلَّهِ تَعَالَى، وَدُونَ مَنٍّ وَلَا أَدَى، وَمَا تَفَعَّلُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَيٍّْ وَجْهِ مِنْ وَجْهِ الْخَيْرِ؛ لِنَفْعِ أَنْفُسِكُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّكُمْ تَجِدُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَحْفُوظًا لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بِأَفْضَلِ مِمَّا قَدَّمْتُمْ، وَأَعْظَمَ ثَوَابًا مِمَّا عَمَلْتُمْ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَمْحُو عَنْكُمْ ذُنُوبَكُمْ؛ عَيْنَهَا وَأَثَارَهَا، فَيَتَجَاوَزَ عَنْهَا وَيَسْتَرْهَا إِنَّ اللَّهَ عَظِيمُ الْمَغْفِرَةِ لِلذُّنُوبِ عِبَادِهِ، بَلِغُوا الرَّحْمَةَ بِهِمْ

يا أيُّها المتعَطِّي بالثِّيَابِ خَوْفًا وَفَزَعًا- والمراد النبي محمد صلى الله عليه وسلم

فَمُ فَخَوْفِ الْمُشْرِكِينَ وَحَذَرُ هَمِّ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ لَمْ يُوجِدْهُ
وَعَظْمُ رَبِّكَ قَوْلًا -ومن ذلك قولُ: الله أكبرُ- واعتقادًا، ومن
ذلك: عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ، وتنزيهُهُ عَنِ النَّقَائِصِ، وَوصْفُهُ بِصِفَاتِ
الْكَمَالِ، وَدَعْوَةُ النَّاسِ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَتَعْظِيمِهِ
وَطَهْرُ ثِيَابِكَ مِنَ النَّجَاسَاتِ، وَطَهْرُ نَفْسِكَ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ،
وَطَهْرُ أَعْمَالِكَ مِنَ الشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي

وَاتْرُكْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ
وَلَا تُعْطِ شَيْئًا رَجَاءً أَنْ تُعْطَى أَكْثَرَ مِنْهُ
وَاصْبِرْ مِنْ أَجْلِ رَبِّكَ وَحْدَهُ عَلَى مَا تَلْقَى مِنْ أَدَى وَمَكْرِهِ
فِي سَبِيلِ دَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، وَاصْبِرْ
عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ، وَعَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعَنِ
مَعْصِيَتِهِ

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِبَعْثِ النَّاسِ أَحْيَاءً مِنْ
قُبُورِهِمُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ

فَذَلِكَ يَوْمٌ صَعْبٌ شَدِيدٌ، بِالْغِ غُسْرٍ، عَظِيمِ الْأَهْوَالِ
وَهُوَ يَوْمٌ شَدِيدٌ عَلَى الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، غَيْرُ سَهْلٍ وَلَا
هَيِّنٍ عَلَيْهِمُ

دَعْنِي -يا مُحَمَّدٌ- وَهَذَا الْكَافِرَ الَّذِي خَلَقْتَهُ مُنْفَرِدًا دُونَ مَالٍ أَوْ
وَلَدٍ، وَكُلَّ أَمْرِهِ إِلَيَّ
وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا وَاسِعًا كَثِيرًا يَزْدَادُ وَيَنْمُو فَلَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ
خَيْرُهُ

وجعلت له أبناءً حاضرين معه، لا يغيبون عنه ولا يفارقونه، فهو يستأنس بهم ويفتخر، ويستعين بهم على قضاء حوائجه

وبسطت له في العيش بسطاً، فأقام ببلدته مطمئناً مترفهاً، له الرياسة والتقدم، والجاه العريض

ثم يرجو من شدة حرصه وطمعه أن أزيده من المال والولد مع كفرانه للنعم، وإشراكه بالله تعالى!

لن أزيد هذا الكافر كما يأمل؛ فلا يكون له ما يطمع فيه من زيادة النعم؛ لأنه كان معانداً لآيات الله تعالى -الذي أنعم عليه بما أنعم- معانداً بالغاً، فلا يتقاد للحق ولا يتبعه بل يسعى في إبطاله مع علمه به

سأكلف هذا الكافر في جهنم عذاباً شاقاً لا راحة له منه إن هذا الكافر قد أعمل فكره في شأن القرآن، وأوقع في نفسه تقديرًا للصفات الباطلة التي يطعن بها في القرآن، وهياً كلامه فهلك ولعن هذا الكافر! وعجباً له؛ إذ كيف أوقع هذا التقدير في نفسه لإصاق الأوصاف الباطلة بالقرآن؟! ثم هلك ولعن مرةً أخرى! وعجباً له ثانية؛ إذ كيف قدر في نفسه ذلك؟!!

ثم نظر هذا الكافر في أمر القرآن بحثاً عن وصف باطل يطعن به فيه؛ ليصد الناس عنه

ثم قطب وجهه، وقبض ما بين عينيه، وتغير لونه حين لم يجد وصفاً صحيحاً يطعن به في القرآن
ثم تولى وتكبر عن قبول الحق مع تبينه كمال القرآن في ألفاظه ومعانيه، وخلّوه من أي باطل

فقال: ما هذا القرآنُ إِلَّا سِحْرٌ يَرُويهِ مُحَمَّدٌ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ
السَّحَرَةِ!

قال: ما هذا القرآنُ إِلَّا حَدِيثٌ بَشَرِيٌّ، وليس بكلامِ اللهِ تعالى،
فلا ينبغي لأحدٍ أَنْ يَغْتَرَّ بِهِ أَوْ يُعَوَّلَ عَلَيْهِ!

قال اللهُ تعالى: سَادَخِلْهُ النَّارَ وَأَغْمُرْهُ فِيهَا، فَتُحِيطُ بِهِ مِنْ
جميعِ جوانِبِهِ، لِيُقَاسِيَ شِدَّتَهَا وَحَرَّهَا

وما أَعْلَمُكَ -يا مُحَمَّدُ- أَيُّ شَيْءٍ سَقَرٌ؟!

لا تُبْقِي مَنْ دَخَلَ فِيهَا حَيًّا، وَلَا تَتْرُكْهُ مَيِّتًا؛ فَيَسْتَرِيحَ مِنْ
عَذَابِهَا، بَلْ تُبَدِّلُ أَجْسَادَ أَهْلِهَا كُلَّمَا احْتَرَقَتْ، فَيَسْتَمِرُّ عَذَابُهَا!

تلك النَّارُ مُحْرَقَةٌ لِبَشَرَةِ أَهْلِهَا، فَتُحوَّلُ لَوْنٌ جُلُودِهِمْ إِلَى
السَّوَادِ

على تلك النَّارِ تِسْعَةُ عَشَرَ مَلَكًا يَلُونُ أَمْرَهَا
وما جَعَلْنَا خَزَنَةَ النَّارِ التَّسْعَةَ عَشَرَ إِلَّا مَلَأْنَاهُ، وما جَعَلْنَا
ذِكْرَ عَذَابِهِمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلْكَافِرِ، وَمِحْنَةً لَهُمْ. وَذَكَّرْنَا ذَلِكَ الْعَدَدَ؛
لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ، وَأَنَّ
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؛ لِمُوَافَقَةِ كُتُبِهِمُ لِلْقُرْآنِ بِأَنَّ عَذَابَهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ،
وَلَا يَشْكُ أَهْلُ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما أَخْبَرَ اللهُ بِهِ مِنْ عَدَدِ خَزَنَةِ النَّارِ. وَلَيَقُولُ
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ الشُّكِّ وَالنِّفَاقِ، وَالْكَافِرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ:
ما الْحِكْمَةُ مِنْ وراءِ هَذَا الْعَدَدِ؟! كما أَضَلَّ اللهُ الْكَافِرَ بهذا
الْعَدَدِ، وَهَدَى الْمُؤْمِنِينَ لِقَبُولِهِ، يُضِلُّ بِمَا يُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ أَيْضًا
مَنْ يَشَاءُ، فَيُخَذِّلُهُ عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، فَيُوقِّفُهُ
لَاِتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَلِلَّهِ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَمَا يَعْلَمُ عَدَدَ جُنُودِ رَبِّكَ

وَكثَرَتْهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَوْ غَيْرِهِمْ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَمَا هِيَ إِلَّا تَذَكُّرٌ
عَظِيمَةٌ لِلنَّاسِ؛ لِيَتَّعِظُوا بِهَا، وَيَنْزَجِرُوا عَنْ مُخَالَفَةِ الْحَقِّ
لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّ الْمُشْرِكُونَ فِي شَأْنِ عِدَّةِ حَزَنَةِ النَّارِ.
وَأَقْسِمُ بِالْقَمَرِ

وَأَقْسِمُ بِاللَّيْلِ وَقَتِّ ذَهَابِهِ وَانْصِرَافِهِ
وَأَقْسِمُ بِالصُّبْحِ إِذَا ابْتَدَأَ ظُهُورُ ضَوْئِهِ عِنْدَ الْفَجْرِ
إِنَّ النَّارَ لِأَحْدَى الْأُمُورِ الْكُبْرَى الَّتِي لَا نَظِيرَ لَهَا
مُنْذَرَةً لِلنَّاسِ، فَتُخَوِّفُهُمْ وَتَحَذِّرُهُمْ بِالْعَا
لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَقْبَلَ النَّذَارَةَ، وَيَهْتَدِيَ لِلْحَقِّ، فَيَتَقَدَّمَ إِلَى الْإِيمَانِ
وَالْخَيْرِ، وَلِمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَأَخَّرَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْخَيْرِ، فَلَا يَزْعُمُ
بِنَذَارَتِهَا

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ فِي الدُّنْيَا مِنْ سَيِّئَاتٍ وَذُنُوبٍ: مَحْبُوسَةٌ
فِي النَّارِ

إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُعْطَوْنَ كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ بِإِيمَانِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا
يُحْبَسُونَ فِي النَّارِ بِذُنُوبِهِمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا لَهُمْ
إِنَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَسْأَلُونَ
يَسْأَلُونَ عَنْ أَصْحَابِ النَّارِ الْمُجْرِمِينَ
يَقُولُونَ لَهُمْ: مَا الَّذِي أَوْجَبَ دُخُولَكُمْ النَّارَ؟
قَالَ الْمَجْرُمُونَ لَهُمْ: الَّذِي أَدْخَلَنَا النَّارَ هُوَ أَنَّنَا لَمْ نَكُنْ فِي الدُّنْيَا
مِنَ الْمُصْلِحِينَ لِلَّهِ وَحْدَهُ

وَلَمْ نَكُنْ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ؛ بُخْلًا بِمَا أَعْطَانَا اللَّهُ، وَمَنْعًا لِمَا
أَوْجَبَ عَلَيْنَا مِنَ الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَاتِ
وَكُنَّا فِي الدُّنْيَا نَخُوضُ فِي الْبَاطِلِ مَعَ مَنْ يَخُوضُونَ فِيهِ،
فَنُخَالِطُهُمْ فِي بَاطِلِهِمْ

وَكُنَّا فِي الدُّنْيَا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، فَلَا نُصِيقُ
بِالْقِيَامَةِ وَلَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ

وَدُمْنَا عَلَى كُفْرَانَا وَضَلَالِنَا حَتَّى أَتَانَا الْمَوْتُ
فَمَا نَنْفَعُ الْكَافِرِينَ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ؛ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ،
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، حِينَ يَقْبَلُ اللَّهُ شَفَاعَتَهُمْ فِي الْمُذْنِبِينَ
الْمُوحِّدِينَ

فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَنِ الْقُرْآنِ الَّذِي يُذَكِّرُونَ بِهِ
مُعْرِضِينَ، فَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَلَا يَتَّبِعُونَهُ؟!
كَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْقُرْآنِ وَتُفُورِهِمْ مِنَ
الْحَقِّ: حَمِيرٌ وَخَشٍ هَارِبَةٌ

هَرَبَتْ أَشَدَّ الْهَرَبِ مِمَّنْ يُرِيدُ صَيْدَهَا مِنْ أَسَدٍ أَوْ رُمَاةٍ
لَا يَكْتَفُونَ بِتِلْكَ التَّذْكِيرَةِ، بَلْ يُرِيدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ
يُنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ مَفْتُوحًا غَيْرَ مَطْوِيٍّ!
لَنْ نُعْطِيَهُمْ مَا طَلَبُوا، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ سَيُؤْمِنُونَ
لَوْ أَنَّهُمْ صُحُفٌ مُنَشَّرَةٌ، وَإِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ لَا يَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ فِي
الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا، فَأَعْرَضُوا بِسَبَبِ ذَلِكَ عَنِ الْقُرْآنِ
لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي الْقُرْآنِ، إِنَّمَا هُوَ
تَذْكِرَةٌ بَلِيغَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَخُلُقِهِ، يُذَكِّرُهُمْ بِهِ
فَمَنْ شَاءَ مِنَ الْعِبَادِ تَذَكَّرَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَاتَّعَظَ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ
مِنْ أَوْامِرٍ وَنَوَاهٍ

وَمَا يَذَكِّرُونَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَيَتَّعِظُونَ بِهِ وَيَعْمَلُونَ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ. فَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الْحَقِيقُ بِأَنْ يَخَافَهُ عِبَادُهُ، وَيَحْذَرُوا
سَخَطَهُ وَعِقَابَهُ؛ بِفِعْلِ أَوْامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَهُوَ وَحْدَهُ
الْحَقِيقُ بِأَنْ يَغْفِرَ ذُنُوبَ عِبَادِهِ

أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَقُومُ النَّاسُ فِيهِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ
وَأَقْسِمُ بِالنَّفْسِ الَّتِي تَلُومُ صَاحِبَهَا
أَيُّظُنُّ الْإِنْسَانُ أَنَّنَا لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ الْبَالِيَةَ، فَنَعُودَ كَمَا كَانَتْ
بَعْدَ تَفْنِيئِهَا وَتَفْرِقِهَا؛ لِإِحْيَائِهِ وَبَعْثِهِ مِنْ قَبْرِهِ؟!!

نَحْنُ نَقْدِرُ عَلَى جَمْعِ عِظَامِهِ، وَنَقْدِرُ عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ، وَذَلِكَ
بِتَسْوِيَةِ أَصَابِعِهِ مَعَ أَنَّ عِظَامَهَا أَكْثَرُ الْعِظَامِ تَفْرِقًا، وَأَصْغَرُهَا
وَأَدْقُهَا أَجْزَاءً، فَزُرْدُهَا وَتَوَلَّفْ بَيْنَهَا كَمَا كَانَتْ فِي حَيَاةِ صَاحِبِهَا،
بَعْدَ مَا تَفَرَّقَتْ وَتَفَتَّتَتْ فِي التُّرَابِ

بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فِي مُسْتَقْبَلِ أَيَّامِهِ وَطَوَالَ
عُمُرِهِ، دُونَ أَنْ يَتُوبَ

يَسْأَلُ هَذَا الْإِنْسَانُ: مَتَى يَوْمُ الْقِيَامَةِ؟

فَإِذَا لَمَعَ بَصَرُ الْإِنْسَانِ وَشَخَّصَ مَبْهُوثًا مَتَحِيرًا فَلَمْ يَطْرَفْ
وَإِذَا ذَهَبَ ضَوْءُ الْقَمَرِ

وَإِذَا جُمِعَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

يَقُولُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ وَقْعِ هَذِهِ الْأُمُورِ: أَيْنَ الْمَهْرَبُ
وَالْخَلَاصُ؟!!

لَيْسَ ثَمَّةَ مَكَانٍ يَوْمَئِذٍ تَلْجَأُونَ إِلَيْهِ

إِلَى رَبِّكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْمَرْجِعُ وَالْإِسْتِقْرَارُ: إِمَّا فِي الْجَنَّةِ،
وَإِمَّا فِي النَّارِ

يُخْبِرُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِجَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي قَدَّمَهُ أَوْ أَخَّرَهُ؛ مِنْ
خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ

إِنَّ الْإِنْسَانَ شَاهِدٌ عَلَى نَفْسِهِ فِيمَا عَمِلَ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَعْمَالُهُ
الَّتِي اسْتَحَقَّ عَلَيْهَا الْعِقَابَ

ولو اعتذر أو جادل بالباطل عن كفره أو معاصيه، فهو يعلم أن لا عذر له

لا تحرك بالقرآن لسانك -يا محمد- متعجلاً بحمله وأخذه قبل أن يفرغ جبريل من قراءته عليك

إن علينا -يا محمد- أن نجمع هذا القرآن في صدرك، فنثبت فيه، وأن تقرأه بعد ذلك؛ فلست بحاجة إلى تحريك شفئك عند نزوله

فإذا قرأ جبريل عليك القرآن -يا محمد- فاستمع لقراءته حتى يفرغ، ثم اقرأه كما أقرأك

ثم إن علينا أن نبين لك -يا محمد- معاني القرآن ليس الأمر كما تزعمون من إنكار البعث أو غيره من الحق، وإنما الذي دعاكم لذلك: هو أنكم تحبون الدنيا، وتشتغلون بها

وتتركون الآخرة، وتعرضون عنها وجوه يوم القيامة حسنة بهية مشرقة، وهي وجوه المؤمنين تنظر إلى ربها سبحانه وتعالى

ووجوه يوم القيامة مظلمة متجهمة كئيبة متكدرّة؛ وهي وجوه الكفار

يوقن الكفار أن داهية عظيمة وعقوبة شديدة ستصيبهم كلاً إذا بلغت الروح عظام أعلى الصدر، وذلك عند موت الإنسان

وقيل: هل من راق يرقيه، وطبيب يداويه؛ فيشفى من مرضه؟

وأيقن المحتضر أنه مفارق الدنيا والأموال والأولاد، والأهل والأحباب

وَتَتَابَعْتُ عَلَى الْمُحْتَضَرِ الشَّدَائِدُ!
إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَرْجِعُ
فَلَمْ يُصَدِّقْ بِمَا وَجِبَ عَلَيْهِ النَّصِيقُ بِهِ، وَلَا صَلَّى مَا أُمِرَ
بِأَدَائِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ
وَلَكِنْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ
ثُمَّ مَضَى إِلَى أَهْلِهِ مُتَبَخِّرًا مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ، غَيْرَ مُبَالٍ بِكُفْرِهِ
وَمَعَاصِيهِ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا وَمُهْدِدًا هَذَا الْكَافِرَ: وَلِيكَ الْهَلَاكُ،
وَقَرَّبَ مِنْكَ الْمَكْرُوهَ!

ثُمَّ وَلِيكَ الْهَلَاكُ، وَقَرَّبَ مِنْكَ الْمَكْرُوهَ!
أَيُّظُنُّ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مُهْمَلًا لَا يُؤْمَرُ وَلَا
يُنْهَى، وَلَا يُبْعَثُ بَعْدَ مَوْتِهِ لِلثَّوَابِ أَوْ الْعِقَابِ؟!
أَلَمْ يَكُنْ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مَاءً قَلِيلًا مِنْ مَنِيِّ يُرَاقُ؟!
ثُمَّ صَارَ الْإِنْسَانُ بَعْدَ النُّطْفَةِ قِطْعَةً دَمٍ جَامِدَةً، فَخَلَقَهُ اللَّهُ
وَسَوَّاهُ، فَأَتَقَنَّهُ وَأَحْكَمَهُ، فَصَارَ فِي غَايَةِ الْإِعْتِدَالِ
فَجَعَلَ اللَّهُ مِنْهُ الصِّنْفَيْنِ: الذُّكُورَ وَالْإِنَاثَ
أَلَيْسَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِقَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَإِعَادَتِهِمْ
كَمَا كَانُوا؟! سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ فَبَلِّئْ!
قَدْ مَرَّ عَلَى الْإِنْسَانِ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ زَمَنٌ طَوِيلٌ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْئًا
يُذَكَّرُ

إِنَّا خَلَقْنَا كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ مَاءٍ قَلِيلٍ مَكُونٍ مِنْ اخْتِلَاطِ مَاءِ الرَّجُلِ
بِمَاءِ الْمَرْأَةِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَخْتَبِرَهُ فِي الدُّنْيَا فَجَعَلْنَا لَهُ سَمْعًا يَسْمَعُ
بِهِ الْأَصْوَاتَ، وَبَصَرًا يُبْصِرُ بِهِ الْمَرئِيَّاتِ

إِنَّا بَيَّنَّا لِلإِنسَانِ طَرِيقَ الْحَقِّ الَّذِي يُوصِلُهُ إِلَى الْجَنَّةِ
وَأَرْشَدْنَاهُ إِلَيْهِ؛ فَإِمَّا أَنْ يَسْلُكَهُ فَيَكُونَ شَاكِرًا لِنِعْمِ اللَّهِ مُوَحِّدًا
طَائِعًا، وَإِمَّا أَنْ يَتْرُكَهُ فَيَكُونَ كَفُورًا لِنِعْمِ اللَّهِ مُشْرِكًا عَاصِيًا
إِنَّا هَيَّأْنَا لِلْكَافِرِينَ سُلَاسِلَ يُقَادُّونَ أَوْ يُوثَقُونَ بِهَا، وَفُيُودًا فِي
أَعْنَاقِهِمْ، وَنَارًا حَامِيَةً تَتَوَقَّدُ وَيَشْتَدُّ التَّهَابُهَا
إِنَّ الطَّائِعِينَ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ
يَسْرِبُونَ مِنْ كَأْسٍ مُمْتَزَجٍ شَرَابُهَا بِالْكَافُورِ
هَذَا الْكَافُورُ هُوَ عَيْنٌ جَارِيَةٌ يَرْتَوِي بِهَا عِبَادُ اللَّهِ، وَيَتَصَرَّفُونَ
بِإِنْبَاعِهَا وَإِجْرَائِهَا حَيْثُ شَاءُوا

أُولَئِكَ الْأَبْرَارُ يُوفُونَ فِي الدُّنْيَا بِنُذُورِهِمُ الَّتِي نَذَرُوهَا طَاعَةً
لِلَّهِ، فَالْزَمُوا بِهَا أَنْفُسَهُمْ، وَيَخَافُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي شَرُّهُ فِي غَايَةِ
الْإِنْتِشَارِ وَالْإِمْتِدَادِ

وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ -مَعَ مَحَبَّتِهِمْ إِيَّاهُ، وَاشْتِهَائِهِمْ لَهُ- وَيُؤْتَوْنَ
بِهِ الْمِسْكِينَ، وَالصَّغِيرَ الَّذِي فَقَدَ أَبَاهُ، وَالْأَسِيرَ
يَقُولُ الْأَبْرَارُ: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ طَلَبًا لِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرَجَاءَ
ثَوَابِهِ، لَا نَطْلُبُ مِنْكُمْ مُكَافَأَةً عَلَى ذَلِكَ، وَلَا نَطْلُبُ مِنْكُمْ شُكْرًا وَلَا
ثَنَاءً عَلَيْهِ

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا الْأَهْوَالِ الْعَظِيمَةِ، وَذَا
الضِّيقِ وَالشَّدَةِ

فَدَفَعَ اللَّهُ عَنِ الْأَبْرَارِ شَرَّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَعْطَاهُمْ حُسْنًا فِي
وُجُوهِهِمْ، وَفَرَحًا فِي قُلُوبِهِمْ
وَجَزَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ جَنَّةً يَدْخُلُونَهَا، وَحَرِيرًا
يَلْبَسُونَهُ

مُتَّكِئِينَ عَلَى السَّرْرِ الَّتِي أُرْخِيَ عَلَيْهَا مَا يَسْتُرُهَا وَيُزَيِّنُهَا،
فَتَكُونُ مُعْطَاةً بَقِيَّةٍ مِنَ الثِّيَابِ الْفَاخِرَةِ، وَلَا يَرَى الْأَبْرَارُ فِي
الْجَنَّةِ شَمْسًا فَيُؤْذِيهِمْ حَرُّهَا، وَلَا بَرْدًا شَدِيدًا
وَقَرِيبَةً مِنْهُمْ ظِلَالُ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ، وَسَهْلٌ لَهُمْ قَطْفُ ثَمَارِهَا
كَيْفَ شَاءُوا أَوْ قُودًا وَقِيَامًا وَمُتَّكِئِينَ
وَيُطَافُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ بَأَنِيَّةٍ مِنْ فِضَّةٍ، وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ
بَأَكْوَابٍ عَظِيمَةٍ لَا أَذَانَ لَهَا وَلَا خَرِاطِيمَ، صَافِيَةٍ شَفَافَةٍ كَالزُّجَاجِ
تِلْكَ الْأَكْوَابُ الَّتِي فِي صَفَاءِ الزُّجَاجِ وَشَفَافِيَتِهِ هِيَ مِنْ فِضَّةٍ،
وَقَدَّرُوا تِلْكَ الْأَكْوَابَ عَلَى قَدَرِ كِفَايَتِهِمْ، فَلَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ عَنْ
ذَلِكَ

وَيُسْقَى الْأَبْرَارُ فِيهَا كَأْسَ خَمْرٍ مَمْرُوجَةٍ بِرَنْجَبِيلٍ
الرَّنْجَبِيلُ مِنْ عَيْنٍ تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا
وَيَدُورُ عَلَى الْأَبْرَارِ فِي الْجَنَّةِ بِالشَّرَابِ أَوْ غَيْرِهِ أَوْلَادٌ
صِغَارٌ عَلَى سِنٍّ وَاحِدَةٍ، فَلَا يَهْرَمُونَ وَلَا يَمُوتُونَ. إِذَا رَأَيْتَهُمْ
ظَنَنْتَهُمْ -لِحُسْنِهِمْ وَبَيَاضِهِمْ وَصَفَاءِ لَوْنِهِمْ، وَكَثْرَتِهِمْ وَانْتِشَارِهِمْ
لِخِدْمَةِ الْأَبْرَارِ- لَوَلُّوا مُفَرَّقًا
وَإِذَا نَظَرْتَ هُنَاكَ فِي تِلْكَ الْجَنَّةِ أَبْصَرْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا عَظِيمًا
وَسُلْطَانًا بَاهِرًا أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْأَبْرَارِ
عَلَى أَوْلَئِكَ الْأَبْرَارِ ثِيَابٌ مِنْ حَرِيرٍ رَقِيقٍ أَخْضَرَ اللَّوْنِ،
وَمِنْ فَوْقِهَا ثِيَابٌ مِنْ حَرِيرٍ غَلِيظٍ لَهُ بَرِيقٌ وَلَمَعَانٌ، وَحُلُوهَا أَسَاوِرُ
مِنْ فِضَّةٍ يَلْبَسُونَهَا فِي أَيْدِيهِمْ زِينَةٌ لَهُمْ، وَسَقَى اللَّهُ الْأَبْرَارَ شَرَابًا
بَالِغَ الطَّهَارَةِ فِي نَفْسِهِ، لَا كَدَرَ فِيهِ بَوَاحٍ مِنَ الْوُجُوهِ، مُطَهَّرًا
لَهُمْ مِنْ كُلِّ أَدَى أَوْ سُوءٍ

يُقَالُ لِلْأَبْرَارِ: إِنَّ هَذَا النَّعِيمَ الَّذِي أُوتِيتُمُوهُ فِي الْجَنَّةِ هُوَ ثَوَابٌ لَكُمْ عَلَى مَا عَمِلْتُمُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ، وَعَمَلَكُمْ هَذَا يَشْكُرُهُ اللَّهُ لَكُمْ، فَيَتَقَبَّلُهُ مِنْكُمْ وَلَوْ كَانَ قَلِيلًا، وَيُثَبِّتُكُمْ عَلَيْهِ ثَوَابًا عَظِيمًا
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ -يَا مُحَمَّدُ- الْفُرْآنَ تَنْزِيلًا مُفْرَقًا بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ الْقَدَرِيُّ -وَمِنْهُ تَأْخِيرُ نَصْرِكَ، وَمَا يَنَالُكَ مِنْ أَدَى-، وَلِحُكْمِهِ الدِّينِيِّ مِنَ الْقِيَامِ بِمَا أَلْزَمَكَ الْقِيَامَ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، وَتَحْمُلِ مَا تَلْقَاهُ مِنْ أَدَى الْمُشْرِكِينَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ. وَلَا تُطِغْ فَاجِرًا يَدْعُوكَ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، أَوْ كَافِرًا بِاللَّهِ جَحُودًا لِنِعْمِهِ يَدْعُوكَ لِعِبَادَةِ غَيْرِهِ

وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ -يَا مُحَمَّدُ- فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ
وَاسْجُدْ لِلَّهِ تَعَالَى فِي صَلَاتِكَ فِي اللَّيْلِ، وَسَبِّحْ اللَّهَ تَعَالَى وَقَفًّا طَوِيلًا مِنَ اللَّيْلِ

إِنَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ يُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَهَمَّ حَرِيصُونَ عَلَى الْبَقَاءِ فِيهَا، وَالتَّمَتُّعِ بِمَلَذَاتِهَا، وَيَتْرَكُونَ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّقِيلَ بِأَهْوَالِهِ وَشِدَائِدِهِ؛ فَلَا يَعْمَلُونَ لَهُ، وَلَا يَسْتَعِدُّونَ لَهُ نَحْنُ خَلَقْنَا أَوْلَئِكَ الْمُشْرِكِينَ وَأَحْكَمْنَا خَلْقَتَهُمْ، فَزَبَطْنَا أَجْزَاءَ أَجْسَادِهِمْ بِالْعِظَامِ وَالْأَوْتَارِ وَالْأَعْصَابِ وَالْعُرُوقِ وَغَيْرِهَا؛ فَصَارَتْ أَجْزَاءُ أَبْدَانِهِمْ مُحْكَمَةً مَشْدُودًا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَإِذَا شَبْنَا بَعْثْنَاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَعَدْنَا أَجْسَامَهُمْ مِنْ جَدِيدٍ مِثْلَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا

إِنَّ آيَاتِ هَذِهِ السُّورَةِ تَذَكِيرٌ لِلنَّاسِ؛ لِيَنْتَعِظُوا بِهَا وَيَعْتَبِرُوا، فَمَنْ شَاءَ سَلَكَ طَرِيقًا يُوَصِّلُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَى جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ، وَطَاعَتِهِ

وما تَشَاوُونَ - أَيُّهَا النَّاسُ - اتَّبَاعَ طَرِيقِ الْحَقِّ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُتَّصِفٌ أَرْلًا وَأَبْدًا بِالْعِلْمِ التَّامِّ، وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُهُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهَدَايَةَ فَيُبَيِّرُهَا لَهُ، وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَوَايَةَ فَيَصْرِفُهَا عَنِ الْهُدَى، وَهُوَ مُتَّصِفٌ أَرْلًا وَأَبْدًا بِالْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، فَيَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ الصَّحِيحِ اللَّائِقِ بِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْهَدَايَةُ وَالْإِضْلَالُ

يُدْخِلُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِي رَحْمَتِهِ بِتَوْفِيقِهِ لِسُلُوكِ طَرِيقِهِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَوْصِلِ إِلَى جَنَّتِهِ، وَأَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالشِّرْكِ: عَذَابًا مَوْلِمًا مُوجِعًا
أَقْسَمَ بِالرِّيَّاحِ الَّتِي تُرْسِلُ مُتَتَابِعَةً، فَيَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَهْبُ شَيْئًا فَشَيْئًا

فَالرِّيَّاحُ الشَّدِيدَةُ الْهُبُوبِ
وَأَقْسَمَ بِالْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَنْشُرُ مَا دُبِّرَتْ عَلَى نَشْرِهِ
فَالْمَلَائِكَةُ الَّتِي تَأْتِي بِمَا يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ
فَالْمَلَائِكَةُ الَّتِي تُبَلِّغُ رُسُلَ اللَّهِ وَحْيَهُ الْمَذْكُورَ بِالْحَقِّ لِعِبَادِهِ
وَذَلِكَ الْوَحْيُ إِقَامَةُ الْحُجَّةِ مِنَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَتَحْذِيرٌ لَهُمْ مِنْ عَذَابِهِ

إِنَّ الَّذِي تُوعَدُونَ بِهِ مِنَ الْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ: لَكَائِنْ لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ
فَإِذَا ذَهَبَ ضَوْءُ النُّجُومِ
وَإِذَا فُتِحَتِ السَّمَاءُ وَانْشَقَّتْ
وَإِذَا قُلِعَتِ الْجِبَالُ، وَتَفَنَّتْ فَصَارَتْ هَبَاءً
وَإِذَا جُمِعَ رُسُلُ اللَّهِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّدَ لَذَلِكَ
لَأَيِّ يَوْمٍ أَخْرَتِ الرُّسُلَ، وَضُرِبَ لَهُمُ الْأَجَلُ لَجْمَعِهِمْ؟

لِيَوْمٍ يَفْصِلُ فِيهِ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ عِبَادِهِ، فَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ،
وَيُحَاسِبُهُمْ، وَيُجَازِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّ

وَأَيُّ شَيْءٍ أَعْلَمَكَ - يَا مُحَمَّدُ - مَا يَوْمُ الْقَصْلِ؟!
عَذَابٌ وَهَلَاكٌ وَخِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ
أَلَمْ نُهْلِكِ الْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِي وَرُسُلِي مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، كَقَوْمِ
نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمْ؟

ثُمَّ نُلْحِقُ بِهِمْ فِي الْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ
الْكُفَّارِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ، فَتُهْلِكُهُمْ جَمِيعًا كَمَا أَهْلَكْنَا مَنْ قَبْلَهُمْ
كَمَا أَهْلَكْنَا الْمُكَذِّبِينَ بِي وَرُسُلِي مِنَ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ، نُهْلِكُ
أَيْضًا كُلَّ كَافِرٍ مُكَذِّبٍ

عَذَابٌ وَهَلَاكٌ وَخِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ
أَلَمْ نُوجِدْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ مَنِيَّ ضَعِيفٍ؟
فَجَعَلْنَا مَنِيَّ الرَّجُلِ فِي رَحِمِ الْمَرْأَةِ مُسْتَقَرًّا وَمَحْفُوظًا فِيهِ
إِلَى وَقْتِ الْوِلَادَةِ

فَقَدَرْنَا عَلَى خَلْقِ النُّطْفَةِ إِنْسَانًا وَتَصَوِيرَهُ، فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ
نَحْنُ حَيْثُ خَلَقْنَاهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَهَيْئَةٍ
عَذَابٌ وَهَلَاكٌ وَخِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ
أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ وَعَاءً يَضُمُّ وَيَجْمَعُ جَمِيعَ الْخَلْقِ؟

تَجْمَعُ وَتَضُمُّ الْأَحْيَاءَ عَلَى ظُهُرِهَا، وَالْأَمْوَاتَ فِي بَطْنِهَا
وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ جِبَالًا ثَوَابِتَ عَظِيمَةٍ الارتفاع،
وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً عَذْبًا سَائِعًا

عَذَابٌ وَهَلَاكٌ وَخِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ
يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُكَذِّبِينَ: سِيرُوا إِلَى النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ
بِهَا فِي الدُّنْيَا

سِيرُوا إِلَى ظِلٍّ مِنْ دُخَانٍ يَرْتَفِعُ مِنَ النَّارِ وَيَتَصَاعَدُ حَتَّى
يَتَشَعَّبَ إِلَى ثَلَاثِ شُعَبٍ عَظِيمَةٍ

لَا يُظِلُّ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ حَرِّهَا، وَلَا يَقِيهِمْ مِنْ لَهَبِهَا
إِنَّ النَّارَ مِنْ شِدَّةِ اسْتِعَارِهَا وَتَلْهُبُهَا تَرْمِي بِشَرِّ عَظِيمٍ
يَتَطَايَرُ مِنْهَا، كَأَنَّهُ فُصُورٌ عَالِيَةٌ

كَأَنَّ الشَّرَّ الَّذِي يَتَطَايَرُ مِنْ جَهَنَّمَ جَمَالٌ سُودٌ
عَذَابٌ وَهَلَاكٌ وَخِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ
فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَالْمَوْقِفِ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يَتَكَلَّمُ الْمُكَذِّبُونَ
وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ؛ لِيَعْتَذِرُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ

عَذَابٌ وَهَلَاكٌ وَخِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ
هَذَا الْيَوْمُ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَحْكُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بِالْعَدْلِ بَيْنَ
عِبَادِهِ، جَمْعُنَاكُمْ فِيهِ - أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ - مَعَ كُفَّارِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ مِنْ
قَبْلِكُمْ

فَإِنْ كَانَ لَكُمْ حِيلَةٌ تَتَخَلَّصُونَ بِهَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَافْعَلُوا؛
فَلَا مَفَرَّ لَكُمْ مِنْ عَذَابِي

عَذَابٌ وَهَلَاكٌ وَخِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ
إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا سَخَطَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ بَامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ:
يَتَنَعَّمُونَ فِي ظِلَالِ الْجَنَّةِ، فَلَا حَرَّ وَلَا بَرْدَ فِيهَا يُؤْدِيهِمْ، وَلَهُمْ
فِيهَا عُيُونٌ جَارِيَةٌ

وَلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ فَوَاكِهُ مِمَّا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُهُمْ
يُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ إِكْرَامًا لَهُمْ: كُلُوا مِنْ فَوَاكِهِ الْجَنَّةِ وَاشْرَبُوا
مِنْ عُيُونِهَا بِلَا أَدَى وَلَا تَنْغِيصٍ فِيمَا تَأْكُلُونَ وَتَشْرَبُونَ، وَذَلِكَ
جَزَاءٌ لَكُمْ بِسَبَبِ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ
وَذَلِكَ جَزَاؤُنَا لِكُلِّ مَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا

عَذَابٌ وَهَلَاكٌ وَخِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ
يُقَالُ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ: كُلُّوا وَتَمَتَّعُوا فِي الدُّنْيَا قَلِيلًا إِلَى آخِرِ
أَعْمَارِكُمْ؛ إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ بِكُفْرِكُمْ بِاللَّهِ، وَتَكْذِيبِكُمْ رُسُلَهُ، فَمَصِيرُ
تِلْكَ اللَّذَاتِ الْانْقِطَاعُ، وَمَصِيرُكُمْ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ
عَذَابٌ وَهَلَاكٌ وَخِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ
وَإِذَا قِيلَ فِي الدُّنْيَا لَأُولَئِكَ الْمَجْرِمِينَ: صَلُّوا لِلَّهِ تَعَالَى، لَا
يَفْعَلُونَ

عَذَابٌ وَهَلَاكٌ وَخِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ
فَبَأَيِّ كَلَامٍ بَعْدَ هَذَا الْقُرْآنِ يُؤْمِنُونَ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، مَعَ كَمَالِ
صِدْقِهِ، وَوُضُوحِ حُجَجِهِ؟!

ar10129v1.0 - 06/09/2026